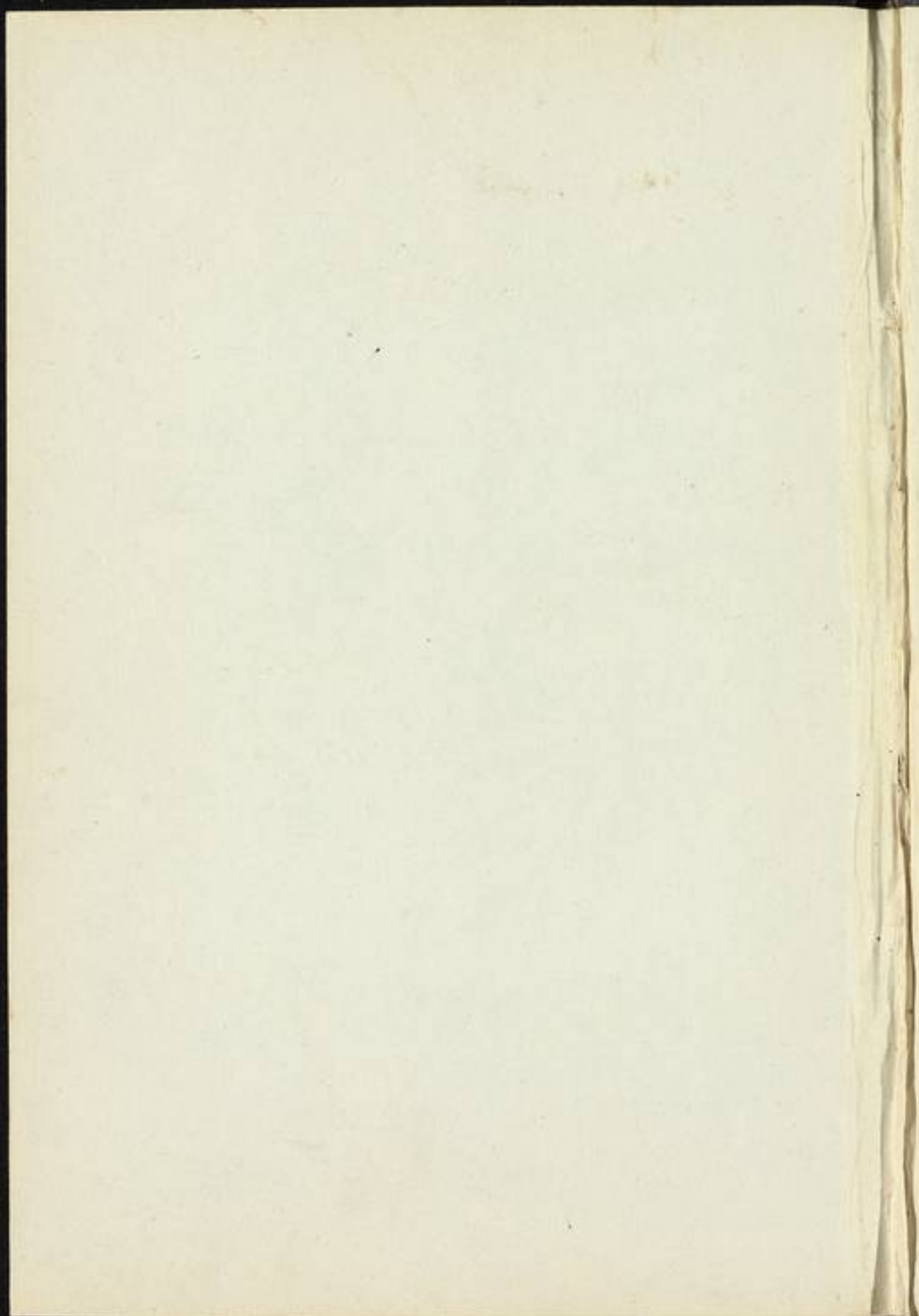




THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY



UAR - 8470. al-Dūrī,

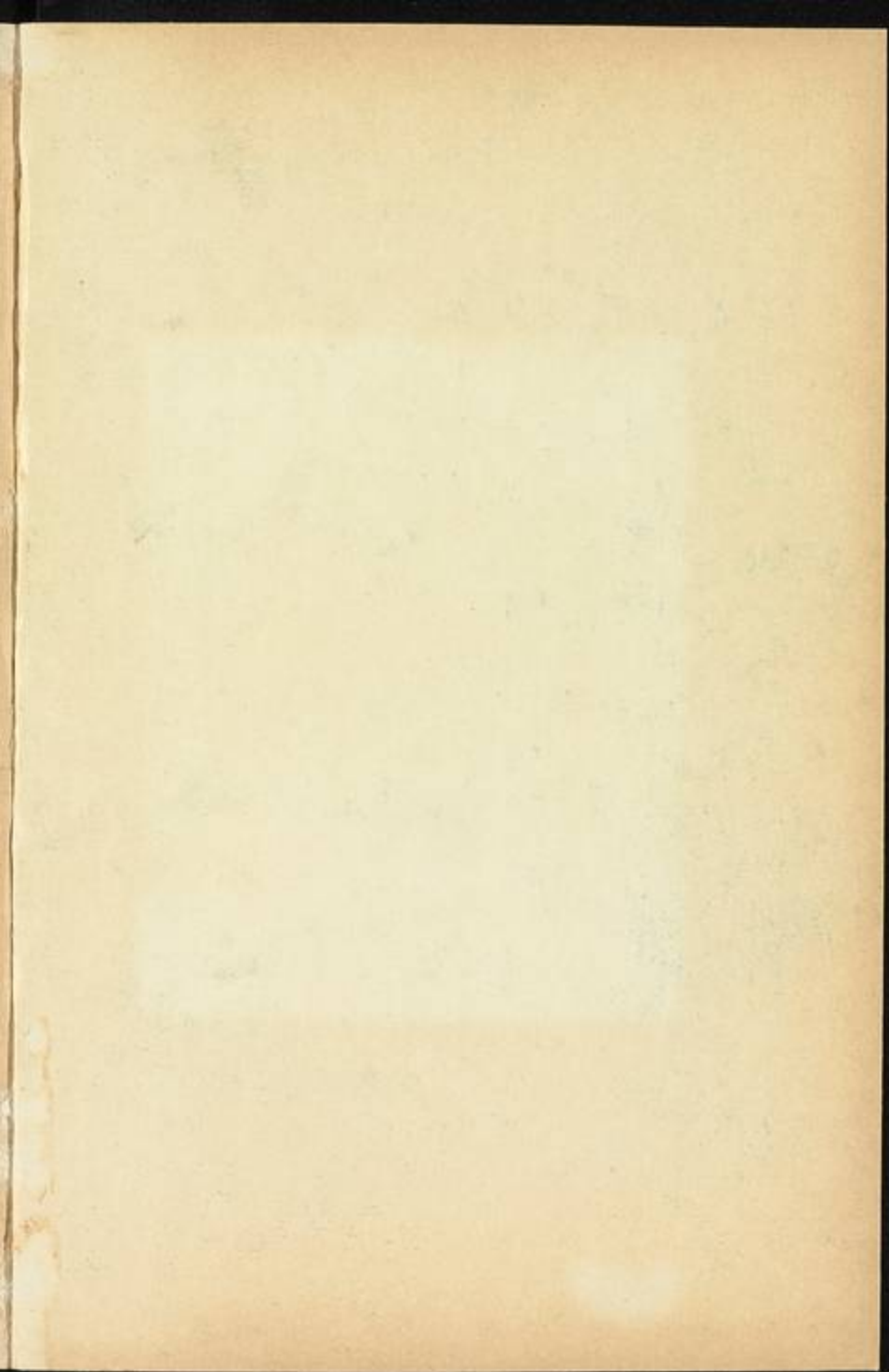
تتميم

مكتبة الكتاب والعرفان

تفسير التاريخ

والدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور صالح أحمد العلي
والدكتور جعفر غسانك والدكتور ياسين عبد الكريم

الزعم



تفسير التاريخ

تأليف

الدكتور

صالح احمد العلي

الدكتور

جعفر حسين خصيباك

الدكتور

عبدالعزيز الدوري

الدكتور

ياسين عبدالكريم

منشورات

مكتبة النهضة - بغداد

مطبعة الارشاد - بغداد

D

16.8

.D87

التاريخ والحاضر

الدكتور عبدالعزيز الدوري

١ - ان موضوع التاريخ موضوع حي ، ولذا ينتظر ان تختلف الآراء حول مفهومه واسلوب كتابته وتفسيره . وهو موضوع يتصل بصورة وثيقة بالاتجاهات الفكرية وبالتطورات العامة ، فيتأثر بها وقد يكون له اثره في بعضها .

ومن هنا تبينت الاتجاهات في تعريف التاريخ . فهناك من يراه البحث عن الحقائق الثابتة وتدوينها ، وهي نظرة تغلب في القرن التاسع عشر . وهناك من يعتبره تفسير الحقائق وربطها ، فالمؤرخ يختار الحقائق ، او بالاحرى يبحث عن حقائق معينة ويجمعها ، وهذه هي مادته الاولية ، ثم يكسبها مفهومها التاريخي ، وفي الحالين يكون المؤرخ محور الموضوع . وبهذا المعنى قال كروچه «التاريخ كله تاريخ معاصر» ويعني بذلك ان التاريخ يتكون في الاساس من رؤية الماضي بمنظار الحاضر وفي ضوء مشاكله ، وان عمل المؤرخ الرئيس لن يكون التسجيل بل التقدير . لذا ففهم أي تاريخ يتطلب فهم المؤرخ واتجاهاته ونظراته .

وهناك من يؤكد الصلة بين المؤرخ وحقائق التاريخ ، فالمؤرخ دون حقائق لا جذور له والحقائق دون مؤرخ مجردة من الحياة والمعنى . فالتاريخ هو عملية متصلة للتفاعل بين المؤرخ وحقائقه او « حوار متصل بين الماضي والحاضر » .

ان تعريف التاريخ في العصر الحديث وكذا تفسيره يتصل

131 August 1968

بتطور المجتمعات الغربية • ففي العصر الوسيط سيطرت الكنيسة
وساد الاتجاه الديني ، وانصب التفسير على أثر المشيئة الالهية •

وفي عصر النهضة ، بدأ التأكيد في الغرب ينصب على دور
البشر وعلى مسؤوليتهم في احداث التاريخ •

وتلى عصر النهضة فترة جديدة من المحافظة ، اعتبر التاريخ
فيها سبيلا للمحافظة على الأوضاع القائمة وصار رمزا لحفظ
الكيانات •

وفي عصر التنوير ، برز اتجاه جديد ، وهو ان التاريخ حقل
مفيد في فهم فعاليات البشر ولكنه ليس طاغية يتحكم فينا ، وظهرت
النزعة العقلية وسادت فكرة التطور والتقدم البشري • ولما جاءت
الثورة الفرنسية اعلنت ، فيما اعلنت ، انتصار العقل وبشرت بتكوين
مجتمع جديد يستند اليه •

وظهرت الرومانتيكية بعد فترة الثورة ، اثر خيبة الامل فيما
حققته الثورة الفرنسية وجاءت تعلن عضوية التاريخ وان فيه قوى
استمرار واتصال ، وان كان بعض هذه القوى غير واضح •

وتنتيجة للتقدم العلمي وللتأكيد على قوانين الطبيعة ، ظهر
الاتجاه الى ربط التاريخ بالعلم ، وظهرت المدرسة الايجابية في
القرن التاسع عشر ، وحاولت أن تجد للتاريخ
ومن التاريخ قوانين لتطور المجتمعات ونماذج لذلك
التطور • فقام هيغل يؤكد على فكرة العقل الفعال

في التاريخ ونادى بالفكرة القائلة بان البشرية تسير الى عصر ذهبي ،
وان الفكرة او العقل وراء تطور التاريخ . وقال غيره بان فكرة معينة
تسير التاريخ كالكقول بان طرق الاتاج وما تحدثه من علائق تكمن
وراء حوادث التاريخ كما هو شأن النظرية الماركسية .

واذا كان هيجل يرى في التاريخ مسرحا لتبرير فلسفته ولخدمة
بروسيا المتوتبة ، فان ماركس رأى في التاريخ وسيلة لاحداث ثورة
في خدمة الطبقة العاملة . وكل منهما انتهى اسلوبه الديالكتيكي عند
فكرة اعتبرها نهاية المطاف . وهذا بحد ذاته لا يخلو من تناقض
داخلي اساسي .

وهكذا سادت فكرة تفسير التاريخ في اطار من القوانين والاشكال ،
وأخر من حاول التعبير عن هذا الاتجاه في شيء من التوسع هو المؤرخ
ارنولد توينبي في كتابه « دراسة للتاريخ » .

وهذا الاتجاه ولد رد فعل لدى كثير من المؤرخين الذين لم
يستطيعوا ان يهملوا دور « المجهول » في التاريخ ، أو ان ينسوا
التعقيد في الظروف ، واختلاف الامكانيات ، وراحوا ينشدون توازنا
بين الفرد والمجتمع ، بين الظروف وامكانيات الابداع في التاريخ .

ومع ان بعض النظريات تفوقت وكان لها شيوع في فترة ما ،
الا اننا نرى دوما تباين الآراء ، وتعدد وجهات النظر . وقد اضطرب
الرأي بين من يأخذ بنظرية او بفكرة في تفسير التاريخ (مثل الحرية ،
العقل المسيطر ، البطل ، الجماهير) وبين من لا يريد الا الاستقرار .
وكما اتخذ التاريخ لدى بعضهم وسيلة لاحداث ثورة او تبدل في

اوربا (كما فعلت الماركسية والنازية) فقد كان لدى آخريين —
(حتى القرن التاسع عشر) وسيلة للمحافظة على أوضاع وكيانات
او بالاحرى عامل ركود وجمود .

ولا بد ان نشير الى أن هناك تطورات خارج اوربا اثرت على
فهم التاريخ ، وهي التحولات الكبيرة في العالم ، اي الحركات
الاستقلالية والنهضات القومية في اسيا وافريقيا . فقد ادخلت هذه،
لاول مرة وبصورة فعالة ، عاملا جديدا في فهم التاريخ عند الغربيين
اذ جعلتهم يتخلون لاول مرة عن فكرة ملازمة ، وهي ان التاريخ
العالمي هو التاريخ الغربي وان كل جهود البشرية انتهت اليه ، وانه
(أي التاريخ الغربي) منطلق ونهاية التاريخ . وبدأ الغربيون
يشعرون بان هناك حضارات وشعوبا يجب ان تفهم ، وان النظر الى
التاريخ على انه غربي نظر خاطيء ، وادركوا ان هناك نظرات
لتاريخ غير النظرة الغربية ، بل ان فهم تاريخ أمة يبدأ لدى
ابنائها . وكل دراسة تأتي من الخارج لتاريخ أمة ما انما تعبر
عن نظرة جانبية يتعذر في الغالب ان يتمثل صاحبها طبيعة تاريخ الأمة
أو روح حضارتها .

يتبين من الملاحظات السابقة ان أساس كل النظريات والآراء
المذكورة اجتهادي ، وانها جميعا ترتبط بظروف المجتمعات الغربية
وتطورها ، وانه ليس من الدقة ان نأخذها مجردة عن ظروف
نشأتها .

وامانا طريقتان : الاول ان نأخذ بنظرية من النظريات ونجد
لها التبرير والتأييد في التاريخ ، أي ان نحاول ايجاد ما نريد فسي

التاريخ ، والتاريخ سجل وآثار تتسع لذلك ، ولكن هذه الطريق تجعل التاريخ وسيلة لخدمة اغراض خارجة عنه ؛ والثاني ان تنظر الى التاريخ بذهن مفتوح وان نحاول استقراءه للتوصل الى النتائج . وهذه حالة لا تفترض ذهنا خاليا تماما ، بل ان الانسان جزء من مجتمع له مشاكله وثقافته وتياراته ، وأرثه الحضاري وهذه كلها تؤثر في تفكير المؤرخ ، ولعلها تكون لديه بعض الفرضيات والمفاهيم العامة .

وأخيرا فان طبيعة تاريخ أمة ما ، بحكم نشأته وسيره ، قد تختلف عن طبيعة تاريخ أمة اخرى ، فتطلب فرضيات تنبثق عنه مما لا يصدق على التاريخ الاخر .

ولنا ان تتساءل عن نظرتنا الى تاريخنا ، وعن صلة هذه النظرة بالحاضر . ومن الواضح مبدئيا ان التنبيه العربي الحديث رافقه اهتمام واسع بالتاريخ العربي ، فمنذ البدايات نجد البعض يرى في تذكر الصفحات الماضية سبيلا لتكوين الثقة بالنفس وبالامكانيات ، أو ردا على الذين يرون الخمول ظاهرة طبيعية في وضع الشعب ، كما رآه البعض ضرورة لفهم ظهور الاسلام وامجاده . وهذا يعني ان الحاضر العربي وجه الاهتمام الى جوانب معينة من التاريخ العربي الاسلامي ، وهي جوانب الازدهار والقوة ، مع اغفال فترات أخرى ليست لها هذه الميزة .

وهناك عامل آخر - أحدث من سابقه - حفز الدراسات التاريخية ، وهو الشعور بان فهم الماضي ضروري لادراك الحاضر ،

وان تكوين الوعي التاريخي ضروري اذا اردنا فهم مشاكلنا الحاضرة
والتخطيط لمستقبل افضل . وهذا يبدو بجلاء في دراسة الفترات
التي تلت العصور الزاهرة .

ومثل هذه الدوافع تفترض وجود نظرات او وجهات في
تفسير التاريخ العربي . وهنا نبين اننا امام وجهتين : فهناك من يظن
ان التاريخ يشد الى الوراء ويقف في طريف الحركة ، أو انه يخدر
الهمة ، واننا يلزما تركه وراء ظهورنا ان اردنا البناء . وهي نظرة
تصدر عن فئتين : فئة تريد تطبيق الماركسية ومفاهيمها ، فلسفة
تاريخية ونظاما ، وتريد قطع الصلة بالماضي وتكوين خلق جديد ،
وسنعود اليها . وفئة ترى في الاكثار من تمجيد الماضي وفي دعوة
البعض الى تجديد رسومه وفي اضافة حرمة خاصة عليه نسيانا للحاضر
وانغماسا في التاريخ ، وترى ان هذا الاتجاه ينسى الناس الحاضر
ويدفنهم في الماضي . واذا كانت الفئة الاولى لا تعترف بجذور ولا
ترى شجرة حضارية ، وتريد ان تستورد كل شيء ، فان الفئة الثانية
انما تعبر عن رد فعل لمغالاة البعض . ومن الواضح ان الدراسة
التاريخية النقدية ضرورية لازالة مثل هذه المخاوف . ولكن كل
دراسة تاريخية تتطلب ايضا الشعور بالتراث والتحسس به اثلا تفقد
خطها العضوي .

اما الوجة الثانية فترى في التاريخ حياة متصلة ، وترى ان
الحضارة! شجرة لها جذورها وخط نموها ، وان الذات الحضارية
لا تركز دون وعي للتاريخ كما ان البناء لا يستقيم دون أسس
راسخة . وسنرجع الى هذه .

وتساءل الآن - هل لدينا تفسير للتاريخ العربي ؟ لقد قدم المؤرخون القدامى بعض التفاسير ومن ذلك ان التاريخ البشري ، بما فيه تاريخ العرب ، تعبير عن المشيئة الالهية المتمثلة في توالي الرسائل ، وآخرها واكملها الاسلام . واصبح بعد ظهور الاسلام تاريخ أمة هي الامة الاسلامية ، ومحورها العرب . ويتمثل هذا في تاريخ الطبري .

وهناك تفسير آخر هو ان التاريخ العربي تعبير عن دور الاشراف العرب الذين حملوا رسالة الاسلام ونشروا العربية في العالم . ويتمثل هذا في كتب البلاذري .

وهناك من فسر التاريخ تفسيراً اخلاقياً ، ورأى فيه العبرة بتصرفات البشر وسيلاً لتلافي الاخطاء وعونا على الاهتداء كمسكويه .

وفسر آخرون التاريخ على أنه تعبير عن فعاليات الاشراف والعلماء والادباء والزهاد والكتاب ، كل ذلك في نطاق دولة الاسلام ، كما ترى في تأليف أمثال ابن الجوزي والذهبي .

واخيراً هناك تفسير حضاري اجتماعي ، كتفسير ابن خلدون الذي يرى ان المجتمعات تبدأ برباط العصبية ، وتدرج الى التوسع غالباً ، فالازدهار الحضاري ، يعقبه الترف والركود فالضعف والانهار . فهو اذن يعطي قوانين لنشوء المجتمع والدولة ولتطورها وتلاشيها .

ولو نظرت الى كل تفسير لوجدت صلته وثيقة بالتطور الثقافي والاجتماعي والسياسي ولرايت انه نتيجة مفهومة لهذا التطور .

ومرت بنا فترة ركود فكري حتى بداية النهضة الحديثة .
وقد انقطعت بنا الاسباب مع هذه التفسيرات . ثم اتصلنا بالفكر
الحديث وبتفسيره التاريخية ، ولكننا لانزال نتلمس الطريق لوضع
تفسير حديث لتاريخنا .

وحين ننظر الى الدراسات العربية الحديثة نرى ان البعض
أكد على فكرة الامة بمفهومها البشري ، وجعل الامة العربية بالمفهوم
الثقافي او غيره محور الدراسة .

وذهب البعض الى التأكيد على تاريخ الشعوب لا الامراء أو
الخلفاء ونبهوا الى وحدة تاريخ الامة واتصاله في حين ان دراسة
التاريخ على أساس الامراء او الاسر تورث التجزئة وعدم فهم
التطور العام .

ومع ان هذه الدراسات تنطوي على روح عربية او على وجهة
قومية الا اننا يندر ان نجد دراسة فسرت التاريخ العربي تفسيراً
قومياً .

والتفت البعض الى اهمية الاوضاع الاقتصادية واثرها في الحياة
العامية ، وطبقوا ذلك على فترة او حركة . وحاول غيرهم ان يعالج
النواحي الاقتصادية متشابهة مع جوانب الحياة الاخرى . وهذا
الاتجاه لا يعني بالضرورة تفسير التاريخ العربي تفسيراً مادياً كما
يظن . والواقع اننا لا نرى تطبيقاً للتفسير المادي عند الكتاب
بالعربية . والمحاولات الوحيدة في هذا المجال هي محاولات
المستشرقين الروس ، وهي لا تخلو من قلق وتبدل ، كما انها

محاولات سياسية وليست اجتهادات تاريخية ، [انظر الملحق] .
وهناك بعض الدراسات التاريخية التي تحوي نظرات اسلامية
في تحليل التاريخ العربي وخاصة في دراسة السيرة وفترة الراشدين ،
وهي في الغالب تلخيص أو اقتباس بسيط من المصادر الاولية . ولكني
لم أر تفسيرا اسلاميا شاملا ، بمفهوم حديث ، للتاريخ العربي
الاسلامي .

ومثل هذا الوضع منتظر في الدراسة التاريخية ، اذ لا بد أن
تستقر فلسفة معينة أو تبلور نظرة تاريخية لدى الباحث قبل ان
يستطيع تطبيقها . ولا بد مع ذلك ان تستقر اصول البحث التاريخي
قبل ان يتخذ البحث اسلوبه التاريخي المتين .

ولا يعني هذا اني اجد اخذ فلسفة تاريخية معينة وتطبيقها
على التاريخ العربي . فالفلسفات التاريخية رهينة بظروف نشأتها
وقد يؤدي تطبيقها الى قسر التاريخ ليماشيها ، والى اخراجه عن
نطاقه .

٣ - ونحن حين ندرس تاريخنا نريد فهمه ، وبالتالي تكوين فكرة
واضحة عن جذور حاضرنا ، وفهم امكانياتنا وتقدير دورنا في سير
البشرية . وتتطلب مثل هذه الدراسة ، لتكون جديده ، توفر عناصر
عدة ، منها :

١ - ان لا تكون دراسة خارجية ، أي من قبل اناس ممن
خارج المجتمع العربي ، لان مثل هذه الدراسة قد تكون مفيدة
وقيمة ، ان سلمت من الهوى ، ولكنها ينقصها الفهم الداخلي والشعور
بروح التاريخ العربي .

٢ - ان لا تكون لدينا فرضيات خارجة عن هذا التاريخ وعن المجتمع الذي صنعه • فاذا كنا بحاجة لان نفهم كل النظريات التاريخية ، الا أننا لا نريد اخضاع تاريخنا لفرضيات ووجهات بعيدة عنه ، بل الاجدر بنا ان تكون فرضياتنا مشتقة من هذا التاريخ ومن محاولتنا لفهمه • وكمثل لذلك اذكر ان فكرة الامة تسود جل تاريخ العرب ، وان توسعهم وحضارتهم استندا الى رسالة تاريخية حملوها ، وانهم خرجوا بقيم خلقية واتسانية لعبت دورها في تطورهم وأثرهم في سير المدنية •

٣ - ان ندرس تاريخنا بروح النقد والتفهم في آن واحد • فنحن لا نريد اضاء صفة القدسية عليه ، فهو تاريخ بشر ، ولكننا كذلك لا يمكننا هدم وتقويض حقائقه على مذبح الشك الساخر • ولا نريد ، في الوقت نفسه ، اضاء صفة رومانتيكية عليه بدراسته كتاريخ بطولات لثلاث نغفل دور الجماعات فيه • (فهذا رسول اتقادسية يقول لعمر بن الخطاب : استشهد فلان وفلان • • الخ • وآخرون لا يعرفهم الا الله) • ونحن نريد روح تفهم لهذا التاريخ ، فهناك تراث متصل وهناك اتجاهات وتيارات تستحق الملاحظة والمتابعة • والاساطير نفسها ، رغم أنها لا يؤخذ بها ، لها دلالتها في فهم التاريخ وتطوره •

٤ - ان نتذكر ان الحاضر يتصل بالماضي • فالحاضر يشير بعض المشاكل والحاضر يكون مفاهيم ونظرات ، وهذه تؤثر في دراستنا للماضي • كما ان الماضي له جوه وله مفاهيمه ولا يمكن اغفالها في دراسته • ومن المتعذر فصل هذين الجانبين فهما متكاملان متفاعلان ، ومدى ذلك يتصل بالممارسة التاريخية والتقدير الذاتي •

٥ - ونحن نقدر وجهة الاتصال والاستمرار في تاريخنا .
ولكننا ندرك ايضا انه مر بفترات فيها طابع الثورية والتوثب حين
تتجمع قوى الامة لتتدفع مطلقة صاحبة . وهذا يعني ان تاريخنا ،
وان كان متصلا متابعا ، الا ان فتراته متباينة في الحركة وفي التأثير
المباشر والبعيد . فقد تكون فترة بعيدة نسبيا اكثر اثرا في تفكيرنا
وحياتنا الحاضرة من فترة تلتها زمينا بمدة طويلة .

ومعنى هذا اننا لا ننظر الى تاريخنا نظرتنا للظواهر الطبيعية
الرتبية ، فاذا اردنا فهمه وجب ان ننظر اليه بتوثبه وركوده ،
بجماعته وافراده ، باحداثه العادية ومفاجآته .

٦ - ان المجتمع وحدة تتداخل فيها العوامل وتتبادل التأثير .
فالجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والنفسية
تلعب دورها متداخلة متشابكة ولا يمكن اغفال جانب منها .

٧ - وتاريخنا قبل ما ذكرنا وبعده ، تاريخ امة وتاريخ حضارة
شهد من ضروب النشاط ألوانا ، وعجج بالتيارات والاتجاهات ، ومر
بفترات توثب وفترات ركود ، ولكنه يبقى تاريخ امة عربية وتاريخ
حضارة عربية اسلامية .

وخير سبيل لدراسة التاريخ العربي هو ان يبحث على أسس
حديثة . ولكنني لا أرى اصول البحث التاريخي الغربي وافية ، بل
من الضروري ان نكون مصطلحا تاريخيا يلائم طبيعة اصول التاريخ
العربي . اننا لا نحتاج الى التلاعب بالتاريخ فكل بناء يستند الى
الزيف زائف وما أحرانا ان نبني على أسس متينة من البحث ومن
الشعور بالمسؤولية .

* * *

حاول بعض الكتاب الروس أن يفرضوا النظرية الماركسية
اللينينية على التاريخ العربي ، ولذا طبقوا عليه تكوين أوليتين :

الأولى : أن تبدل علاقات الانتاج هو أساس تطور التاريخ ،
وأن المجتمعات البشرية تمر بخمس مراحل : البدائية الجماعية ،
ملكية الرقيق ، مرحلة الاقطاع ، الرأسمالية ، الاشتراكية . ولا بد
من تطبيق ذلك على المجتمع العربي . ويرون أن هذا المجتمع مر
قبل الاسلام بالمرحلة البدائية الجماعية الى مرحلة امتلاك الرقيق ، وربما
بدت بوادر المرحلة الاقطاعية . وهذا التطور ولد أزمة اجتماعية اقتصادية
انتجت الاسلام . وحاولت ارسنقراطية الملاكين الخروج من الازمة
بالمفتوحات ، فنتج عنها تحول المجتمع كليا الى مجتمع اقطاعي ، وهذا
ما حصل في العصر العباسي .

والثانية ، ان الاسلام نتاج أزمة اجتماعية اقتصادية سببها تبدل
علاقات الانتاج ، فهو اذن لتعزيز مصالح الطبقة الناشئة ، وهو اذن
ظاهرة تاريخية عادية .

وهذا تفسير لا يتعدى ملء فراغات في خطوط جاهزة ، فكان
لابد لاصحابه من تجاهل المصادر الاولى من جهة والسعي وراء تنق
مبشرة لتطبيق المخطط . فهم يفعلون الحضارات العربية التي تمتد الى
أواخر الالف الثاني قبل الميلاد ، ويتناسون ان الفترة التي سبقت ظهور
الاسلام هي فترة تدهور في الفعاليات الحضارية ، وفترة انعكاس
تمثل في توسع البداوة والقبلية على حساب الحضارة .

ومن المنتظر ان يضطرب هؤلاء الكتاب في تحديد التبديل

الذي يفرضه مخططهم • فبعضهم يرى ان المجتمع العربي (في مكة
والمدينة) شهد بدايته تكوين مجتمع يمتلك الرقيق ، بينما يرى
(بيجولفسكيا) ان القرآن يشعر بتركز مرحلة ملكية الرقيق ويذهب
(مع بلاييف) الى ان المرحلة الاقطاعية هي من اثار اتصال العرب
بالشعوب الاخرى •

هذا ويرى آخرون ان المجتمع الاقطاعي بدأ بالتكون فعلا •
وتبع هذا قلق في التفسير • فمنهم من يرى أن الاسلام يلائم
مصالح الطبقات المستغلة الجديدة من ملاك وارشتراطية الاقطاع
(مثل كليموفيج) ، ومنهم من يراه في مصلحة ارشتراطية الرقيق
فقط ، في حين ان البعض (مثل بلاييف) يرى ان الاسلام المتمثل
بالقرآن لا يلائم المصالح السياسية والاجتماعية للطبقات الحاكمة ،
فلجأ اصحابه الى الوضع في الحديث لتبرير الاستقلال الطبقي
الجديد •

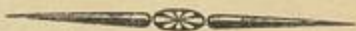
وفي حين ان بعضهم يقول ان الارشتراطية وحدت القبائل
العربية لتحقيق اغراضها يقول غيرهم ان القبائل كانت تتوئب للموحدة
فجاء الاسلام موحدا يعبر عن ذلك التوئب •

ويضطرب الموقف من نشأة الاسلام ذاته ، فينما يدعي
(كليموفيج) ان محمدا (ص) واحد من عدة انبياء ظهروا وبشروا بالتوحيد
وأرادوا توحيد القبائل ، يذهب (تولستوف) الى نفي وجود النبي
العربي ويعتبره شخصية اسطورية •

وينما يعترف البعض بظهور الاسلام ، يذهب (كليموفيج)

الى ان جزءا كبيرا منه ظهر فيما بعد في مصلحة الاقطاعيين ونسب
أصله الى فعاليات معجزة لمحمد ، وتجاوز (تولستوف) الى ان الاسلام
نشأ عن أسطورة صنعت في فترة الخلافة لمصلحة الطبقة الحاكمة ،
وهي أسطورة مستمدة من اعتقادات سابقة تسمى الحنفية •

وانت ترى بعد هذا ، البون الشاسع بين الاهتمام بالنواحي
الاقتصادية واعطائها ما تستحق من عناية ، وبين اتخاذ التاريخ وسيلة
لتبرير الماركسية ودعمها • كما ترى الفرق بين البحث التاريخي
وبين فرض نظرية خارجية على التاريخ •



تفسير التاريخ

الدكتور صالح احمد العلي

اهتمام الانسان بماضيه قديم ، ودراسته وتداوله ربما كانا يرجعان الى الزمن الذي وجدت فيه للانسان ذاكرة تعي وتحفظ ، ولسان ينطق وينقل ما في الفكر ، وقد بدأ تدوين التاريخ مذ ان بدأت الكتابة ، فأخذ الملوك والكهان يدونون سجلات باعمالهم ومنجزات شعوبهم ومن ابرز من اهتم بها الآشوريون الذين كان ملوكهم يهتمون بهذه الحوليات اهتماما كبيرا ، وعلى الرغم من مجانبه كثير مما فيها الدقة ، فانها تضم معلومات واسعة وتظهر مدى اهتمامهم بدراسة التاريخ ، كما اظهر اليونان والرومان اهتماما فائقا بالتاريخ وتدوينه .

اما المسلمون فقد احتلوا مكانة بارزة خاصة في الاهتمام بالتاريخ ، فالفوا في مختلف فروعه ، من تواريخ عامة تتعلق بتاريخ العالم وتاريخ المسلمين ، وتواريخ خاصة ، كتاريخ حادثة او شخص او مدينة او عشيرة ، فكان ما الفوه هائلا في عدده ، منوعا في مواضيعه ، طيبا في نوعيته .

ثم ان العرب من اجل دراستهم للحديث النبوي ومدى اصلته ، اهتموا بدراسة رجال الحديث ونقدهم ، لمعرفة مدى اصالة الاحاديث التي يروونها ، وكانت دراسة رواية رجال الحديث دقيقة رائعة ، كانت فيها اضافات رائعة ومساهمة عظيمة في دراسة تقدم طريقة البحث التاريخي ، وخاصة فيما يتعلق بالنص والرجال ، وكانت

دراستهم تطبيقية ونظرية ، وفيها ما لا يقل عظمة وروعة عن خير ما
انتجته الفكر الحديث من دراسة في الطريقة التاريخية . ومع ان هذه
الدراسات قام بها المحدثون ، واقتصرت بالدرجة الاولى على دراسة
الحديث ، الا انها كانت ذات علاقة وثيقة بالتاريخ اولا لان دراسة
النص والرجال هي في صميم الدراسة التاريخية ، لانه
بحث في الماضي ، وثانيا لان عددا غير قليل من المؤرخين كانوا بدورهم
محدثين ، فنأثروا بطريقة المحدثين ، وطبقوا بعض طرائق المحدثين
واساليبهم في التاريخ ، ووضح ما يتجلى ذلك في اهتمامهم بذكر
سلسلة السند ، ومحافظة النص على حرفية النص عند نقل اقوال
المتقدمين .

ثم ان المسلمين اهتموا بفلسفة التاريخ وبمعرفة القوانين التي
تحكم في سير الانسان وسعادته ، والمجتمعات وتطوراتها ، والبشرية
ومصائرهما . والواقع ان الاسلام دين يعتبر التاريخ اساسا في
عقيدته ، ويعرض فلسفة تضع نظما وقوانين لسير الانسان وسعادته
والمجتمعات وتطوراتها ، والبشرية ومصائرهما ، هذا فضلا عن تاكيد
على علاقة القرآن بما في الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى ،
وان الاسلام والرسول يتبعان ملة ابراهيم حنيفا مسلما ، ويؤكد
باستمرار على المسلمين بأن ينظروا كيف كانت عاقبة الذين من
قبلهم ، وينظروا الى مصائر الامم .

والقرآن يؤكد بأن العامل الاكبر في تقرير مصير الافراد والامم
والدول هو الايمان المتصل صلة وثيقة بالاخلاق ، فالاخلاق هي
القانون الذي يسير البشرية ، ففيه تسعد البشرية ويزدهر المجتمع ،

او تشقى وتفكك ، والاخلاق هي السلوك المتصل بالمثل العليا .

وقد بحث عدد كبير من مفكري المسلمين وعلماء الدين في هذه الامور واتجوا افكارا لو اعيد اليوم جمعها ودراستها وتحليلها لظهرت جانبا من اهتمامهم بفلسفة الانسانية ، وبرزت مدى عمق تفكيرهم ونظرتهم الانسانية واهتمامهم بالمقاييس الخلقية ، وان في افكارهم دروس نفيدنا غير قليل في الازمة التي نلاقيها اليوم .

ثم ان المسلمين اتجوا ابن خلدون الذى حاول ان يحلل في مقدمته مظاهر الانسانية وتطورها ، ويضع للتاريخ فلسفة شاملة ، ويستنبط منه قوانين عامة سير عليها البشرية في تطورها ، ومع ان ابن خلدون لم ينجح تماما في تطبيق قوانينه الا انه ربما كان متأثرا لا شعوريا بالنطق الذى يرسم للمعرفة قوانين عامة ، او باصول الفقه الذى يهدف الى ان يستنبط من جزئيات الفقه وحادثاته الهائلة في عددها وتنوعها ، قواعد عامة تنظم سير هذه الجزئيات ، ومع ان بعض تفاصيل ابحاثه معتمد على دراسات سابقة ، وعلى بعض ارائه مجال للاعتراض الا انه يقف في تاريخ فلاسفة التاريخ كالطود الشامخ ، اذ لم يسبقه ، او يتبعه ، حتى جاء فيكو بعد ثلاثة قرون ، من كانت له ما لابن خلدون من بصيرة عميقة ، ونظرة دقيقة ، واستنباط عميق ، وبحث شامل في كثير من ميادين النشاط الانساني السياسى والاجتماعى والاقتصادى والدينى والفكرى .

لقد كان ابن خلدون كالطود الشامخ ، والجبل السامق ، الذى وقف وحده يسمو على من سبقه في النظرة والعمق ، ولم يجاراه من

بعده من المسلمين ، اذ ان الفكر الاسلامي كان آنذاك في دور الانحطاط
والضعف •

اما اوربا ، فمع انها كانت قد بدأت تنهض وتقدم ، الا ان
اهتمامها منذ نهضتها بالدراسات التاريخية قليل نسبيا ، فكان جل
اهتمامها السياسي منصبا على التجارة والتوسع المادي ، واما اهتمامها
الفكري فقد انصب بالدرجة الاولى على العلوم الرياضية والطبيعية ،
ويمكن القول بان هذا الاهتمام وصل اوجهه في القرن التاسع عشر
الذي انتج اعظم المبدعين في ميادين الفيزياء والكيمياء والطبيعات
والبيولوجيا ، كما ازداد تطبيق بعض نظريات العلم في الصناعة ،
فأدى الى كثير من الاختراعات التي زادت من كمية الانتاج ونوعيته ،
وزادت من قوة الانسان في السيطرة على الطبيعة كل هذا ادى الى
تزايد اهتمام الناس بالعلم واتجاهه ، وتقديرهم لطريقته ، ووثوقهم
بصحته ما توصل اليه من نتائج ، حتى اصبح اكثر الناس يعتقدون
ان العلم هو الشيء الوحيد الموثوق بصحته ، وان الطريقة العلمية هي
الوسيلة الوحيدة للوصول الى المعرفة الصحيحة ، وان كل معرفة
لا يتوصل اليها بالطريقة العلمية لا يمكن الوثوق بصحتها او الاعتماد
عليها ؛ ورافق كل ذلك ازدهار وسيطرة الفلسفة الطبيعية التي تستند
الى الدفاع عن العلم وطريقته •

وقد تأثر كثير من الباحثين في المواضيع الاجتماعية عامة ، وفي
التاريخ ايضا ، بهذه النظرة الى درجة ان نادى المؤرخ البريطاني
المشهور بيوري ان « التاريخ علم لا اكثر ولا اقل » •
والواقع ان العلوم الطبيعية والتاريخية تهدف كلها الى غاية واحدة

هي الوصول الى الحقيقة وعرضها بشكل منظم مترابط ، وهي تبدأ
بحثها بفرضيات تحاول تمحيصها والتثبت من صحتها ، وتبدأ
بالبحث من الجزئيات ، ثم تخلص منها الى الاستنتاجات والى رسم
الكليات .

ان اعتبار التاريخ علما ادى بالمؤرخين الى الدقة والحذر في
التثبت من الحقائق وصياغتها والتأكد الدقيق من صحة كل نقطة ،
وفحص مختلف الادلة بغية الوصول الى نتائج مضبوطة كما ادى الى
تضييق نطاق التحيز .

غير انه في نفس الوقت جعل بحث التاريخ أمرا شاقا ، وكتابته
صعبة ، وقراءته مملة ، فقل الراغبون فيه ، واضمح اكاديميا جامعا ،
تجنب كثير من الراغبين الكتابة فيه خشية الوقوع في الزلل ، وانصرف
هم الباحثين فيه الى التعمق في نقاط صغيرة ، مهما كانت دقة بحثها ،
فانها لا تعطى صورة واضحة لسير الانسانية او تطور المجتمع .

ثم اخذت على ممر الايام تتجلى صعوبات تقف امام تطبيق
طريقة العلوم الطبيعية على دراسة التاريخ ، ذلك ان طريقة العلوم
الطبيعية تستهدف الوصول الى حقائق مصنفة تنظم في قواعد عامة او
قوانين تطبق على كل الحالات عند تساوي الظروف وبصرف النظر
عن الزمان والمكان . وهي تتبع للوصول الى هذه الغاية طريقة
المشاهدة والتجربة والاختبار بعد ان تعزل المواد التي تريد دراستها
عزلا تاما وتخلصها من التأثيرات الخارجية ، فاذا ادى تكرار التجارب
او المشاهدات المتعددة الى نفس النتائج ، فان النظرية تثبت وتصبح

قاعدة او قانونا ينطبق على كافة الحالات المشابهة مهما اختلفت اماكن
القيام بالمشاهدة والتجربة او زمانها • ونظرا لوجوب انطباق القانون
على كافة الحالات فانه يمكن التنبؤ بها •

ولتوضيح ذلك نورد مثلا هو انه اذا حل جسم في ماء فانه
يفقد من وزنه بقدر حجمه من الماء ، فاننا نشاهد هذه الظاهرة ثم
نكرر تجربتها في اماكن مختلفة وازمنة متباينة وتؤكد في كل مرة
من كون الماء نقياً ، وألا تدخل عوامل خارجية اخرى ، كان يوضع
ضغط خارجي على الجسم ، او الا يكون الماء نقياً مما قد يؤثر في
التجربة ، فاذا كانت نتيجة التجارب المنوعة واحدة ، فان الفرضية
ثبتت وتصبح قانونا ينطبق على كل الحالات المشابهة في الماضي
والحاضر والمستقبل ، ويمكن بعدها التنبؤ والقول بانه اذا غطس
جسم في ماء في المستقبل ، فسيفقد من وزنه بقدر وزن حجمه من
ذلك الماء •

ان طريقة دراسة العلوم الطبيعية التي وصفناها آنفا لا يمكن
تطبيقها بحذافيرها في دراسة التاريخ وذلك لعدة أسباب :

١- ان الاشياء موضوع الدراسة في التاريخ ليست امامنا لنستطيع
لمسها او مشاهدتها شأن الاشياء التي تدرسها الكيمياء والفيزياء مثلا ،
وعلى هذا فلا بد لدراسة التاريخ من اتباع طريقة غير مباشرة ، وذلك
بالاعتماد على ما كتبه او تركه الذين شاهدوا الاشياء التي نريد
دراستها ، وهذه الكتابات والمخلقات ما هي الا رموز تتطلب الفهم
والتفسير ، فضلا عن النقد للتحقق من صحة ما تدعيه هذه
الكتابات •

ونظرا لعدم امكان احضار الشيء موضوع الدراسة او تكراره ،
فانه لا يمكن اجراء التجارب عليه للتحقق منه شأن العلوم الطبيعية ،
وهكذا فعد دراستك تكوين الماء يمكنك ان تحضر الهيدروجين
والاكسجين وتفحصهما وتجري عليهما التجارب بنفسك ، اما اذا
اردت دراسة ضرب هارون الرشيد للبرامكة ، فانك لا تتمكن من
احضار هرون الرشيد لتشاهده وتسأله او لتجرب عليه التجارب ،
فلا بد لك في هذه الحالة من الاعتماد على ما كتبه الآخرون ، وقراءة
ما كتب وتحليله •

ثم ان احداث التاريخ الجزئية تجرى مرة واحدة ولا تكرر
مطلقا ، لذا فان دراستها وفهمها مهما نضج وكمّل ، لا يمكن ان
يطبق على الحوادث الاخرى ، اى انه لا يمكن التنبؤ بها ، ولا يمكن
استنباط قوانين دقيقة منها •

٢ - ان الاشياء التى تدرس في العلوم الطبيعية هي اجزاء
دقيقة كالمنية ، فنحن عند دراستها لا نحسب لبواطنها ودخائلها ،
أى حساب ، ونقتصر في دراستها على مشاهدتها ومراقبتها من الناحية
الخارجية ، فدراستها تتطلب بالدرجة الاولى الادراك دون البصيرة
اما الاشياء التى يدرسها التاريخ فهى كائنات حية ذات احساس وشعور
وادراك باطنى وتفكير ، فهى لا تستجيب كلها نفس الاستجابة
للمؤثر الواحد ، بل تختلف استجاباتها باختلاف الاشخاص ، فهى
لذلك كائنات معقدة ، ودوافعها متعددة منوعة ، ليس من الممكن
دائما حصرها ومشاهدتها ، ولا يمكن عزلها عند محاولة دراستها
شان العلوم الطبيعية ، فلا بد من عدم الاكتفاء بظواهر الاعمال ، بل

التوغل الى الاعماق ومحاولة فهم العوامل المؤثرة التي يلعب الانسان
او موضوع الدراسة دورا في تكيفه .

٣ - في الدراسة الطبيعية يمكن التجرد التام ، وتجنب التأثير
الشخصي للدارس في موضوع الدرس ، اما في التاريخ فمن الصعب
التجرد التام .

أ - من الصعب جدا على الشخص دراسة نشاط الانسان من
كافة نواحيه ، نظرا لتعدد نواحي هذا النشاط وتعقدها واختلافها ؛
فلا بد للدارس ازاء هذا من اختيار ناحية او بعض نواحي نشاط
الانسان فيدرسه ، ولا ريب ان اختياره لاية ناحية من النواحي يتوقف
على ميوله ورغباته وتقديراته الشخصية لا على طبيعة موضوع
الدرس .

ب - لما كان الموضوع المدروس في التاريخ لا يمكن مشاهدته
ومراقبته واختباره فلا بد للدارس من ان يعتمد على الوثائق الباقية التي
تصفه ، ولا بد له من ان يقرأها ويفهمها ليتصور موضوع الدراسة
وكيف كان ، وما هي العوامل المؤثرة في سلوكه ، وفهم كل عامل
وتقدير قيمته وترجيحه على غيره ، وهذا يتطلب منه استخدام
خبراته السابقة وتجاربه وأفكاره الشخصية لتقديرها .

ومعنى هذا انه لا بد للدارس التاريخ من ان يستعمل ذهنه وأفكاره
الخاصة لفهم حوادث الماضي ، فكتابته عن اية حادثة اذا لا تتوقف على
الحادثة فقط ، بل على فكر المؤرخ نفسه ايضا ، ومن المعلوم ان
المؤرخ قد يتأثر باوضاعه الذهنية الخاصة في الحكم على الاشياء ،

وذلك اما لعوامل شخصية من حب او كره ، او لما له من اتجاهات فكرية : كأن يكون ذهنه منشغلا بامور التجارة والمالية فينظر الى النواحي المالية ، او يكون اجتماعيا فينظر الى الجوانب الاجتماعية ، او سياسيا فينظر الى النواحي السياسية ويعيرها اهمية كبرى ، ويرى فيها العامل الاكبر ، فيؤكد عليه ويوضحه ، او قد يكون مؤمنا بقيم اخلاقية ومثل عليا معينة تشرب فيها ذهنه ، وكل هذه تؤثر في تقديراته واحكامه على ترجيح العوامل المؤثرة في حادثة ما ؛ ولعل هذا من اهم الاسباب التي تجعل المؤرخين تختلف كتبهم ونتائج ابحاثهم رغم اعتمادهم على مصادر واحدة في البحث ، كما ان هذا هو السبب الذي حمل الفيلسوف الايطالي بنديتو كروتشي على القول بان « كل التاريخ تاريخ معاصر » وهو يقصد بذلك ان كتابة التاريخ تمثل الماضي كما يفهمه المعاصر ، وان لذهن المعاصر أثرا كبيرا في تصوير الماضي ، فكتاب التاريخ لا يمثل الماضي فقط ، بل يمثل الى حد ما العصر الذي يكتب فيه الكتاب .

ثم ان المؤرخ قد لا يجد كل الوثائق متوفرة لديه في بحث موضوع ما ، فلا بد له من الحدس في بعض الامور ، ومن استعمال بصيرته لاملأ بعض الفجوات والمجاهل في تقدير الاسباب او بعض الاحداث او النتائج التي لاتقدم الوثائق عنها معلومات وافية .

د - وكثيرا ماتكون الوثائق والمادة الاولية اوسع من ان يستطيع المؤرخ هضمها والاحاطة بها ونقدها وتحليلها ومقارنتها لفهم الحقائق على ما هي ، هذا فضلا عن عدم امكانه استيعاب كافة ما كتب من ابحاث حول موضوع دراسته ، وتجلى هذه المشكلة بصورة

خاصة عندما يحاول المرء دراسة التاريخ الحديث وخاصة المعاصر حيث يجد آلاف الكتب ، ومئات الاطنان من الوثائق التي لا يكفي استيعابها عمر الانسان .

قد يقترح المرء ان يستخدم المؤرخ مساعدين له لقراءة الوثائق ، غير ان هؤلاء المساعدين مهما كانت فطنتهم وذكاؤهم فانهم قد لا يدركون تماما ما يريد المؤلف ، فينقلون ما لا يهمه ، ويهملون ما قد يكون مهما له ، فتضيع فوائد كبيرة .

هـ - ثم انه قد تتوفر كل الوثائق الصحيحة عن نقطة ما ، ولكن المؤرخ يحاول بيان مكان النقطة التي يدرسها في نطاق التاريخ العام ، فيندفع في ابحاث لا تنتهي ، ولنورد على ذلك مثلا ، ان لو جاءتك وثيقة برهنت الادلة على صحتها حول ضريبة كانت تدفعها مدينة ما للدولة ، ولكنك اردت ان تفهم هذه الضريبة ، فان عليك ان تعرف بقية الضرائب التي تدفعها تلك المدينة ، والتي تدفعها المدن الاخرى ، والجبية وطبائعهم ونصيبهم ، ومقدار ما يصل الدولة منها ، والعملية التي قدرت فيها الضريبة ، ومستوى الاسعار ، ووضع السلعة التي فرضت عليها الضريبة ، والوضع الاقتصادي العام الذي كانت الضريبة من ضمنه ، ووضع مالية الدولة العامة ، والى غير ذلك من الاسئلة التي قد تستمر الى ما لا نهاية له ، ويتطلب كل سؤال جمع وثائق جديدة ، قد تكون متوفرة ، فيتطلب ذلك فهمها وتحليلها الذي يحتاج الى وقت طويل ، او قد لا تتوفر فتولد اليأس في قلب الباحث . والواقع ان مشكلة « اين يقف الباحث في بحثه » ، لا تقل صعوبة عن مشكلة « من اين يبدأ » ، كما ان اشارة الباحث لما نجعل

قد تدل على بصيرة وذكاء المؤرخ ، ويكون لها قيمة لا تقل عن قيمة ما يكتشف .

و - ثم ان تدوين الحقائق التي نكتشفها مهما كانت دقتها وصحتها ، لا يمكن ان يكون وحده تاريخا ، لان معرفة صلة الحادثة وعلاقتها بالاحداث الاخرى امر اساسى في التاريخ لا يقل اهمية عن الحقائق المكتشفة ؛ فمعرفة العلل والدوافع ، والاسباب والنتائج جزء اساسى ورئيسى في دراسة التاريخ ومعيار من ابرز المعايير في تقدير قيمة اى كتاب .

ان دراسة الاسباب والنتائج تضى على دراسة التاريخ طابعا يباعده عن العلوم الطبيعية .

أ - لان الاقدمين اهتموا في الغالب بتسجيل الحوادث المفردة ، وهى منعزلة دون الاهتمام بايضاح صلتها بالاحداث الاخرى ، فلابد للمدارس الحديث من ان يقوم بالبحث في الاسباب والنتائج وايجاد الصلة بين احداث قد تتراءى متباعدة .

ب - ثم ان لكل حادثة اسبابا متعددة ، ودوافع معقدة ، كما ان نتائج كل حادث قد تباين نتائج غيرها ، فقد تكون نتائجها متعددة او محدودة ، كبيرة او تافهة آنية او بعيدة المدى ، بعضها ظاهر يسهل ادراكه ، وبعضها خفى يتطلب ذكاء وفطنة لكشفه واظهاره .

فمعرفة العلل والاسباب والنتائج والآثار ، عملية مهمة ، ولكنها شاقة ، تعتمد على تفكير المؤلف وفطنته .

ثم ان لكل حادثة عدة اسباب وعدة نتائج ، وهذه الاسباب

والنتائج تختلف في اهميتها ، ومن واجب المؤرخ ان لا يكتفى بتعداد
الاسباب ، بل ان يقدر مدى اهمية كل سبب ، ويبين السبب النافه
من المهم ، وكذلك النتائج وتقدير الاسباب والنتائج ومدى اهمية
كل منها تتطلب ذكاءً وفطنة وعقلا واسعا كما تتطلب اطلاعا واسعا
على مجرى تاريخ الفترة او الامر الذي يدرسه ، وكذلك تتطلب
اطلاعا على روح العصر الذي يدرسه ، والمقاييس التي كانت فيه ،
ومن المعلوم ان لكل مجتمع في كل عصر طابعا ، فقد يكون الحماس
الديني في مجتمع ما وفي عصر ما سائدا ، فيكون دافعا قويا لاعمال
البشر وتقدير مكانتهم في المجتمع ، أو قد يكون للتفكير فيها المكان
الاول في مثل الناس وتقديراتهم ، أو قد تكون الثروة والمادة • ومن
المعلوم ان المؤرخين الأقدمين متباينون في تقديرهم للطابع العام في
عصرهم ، ولا يمكن ان نعرف روح العصر بالاعتماد على واحد منهم
فقط ، ولاخذ على ذلك مثلا من التاريخ الاسلامي الاول ، من طبقات
ابن سعد وانساب الاشراف للبلاذري ، فكلاهما مصدر رائع للمقرن
الاول ، ولكننا نلاحظ ان ابن سعد يفصل في تراجم رجال الدين
والحديث والتفسير ، اما رجال السياسة والادارة والحرب فانه في
العائب يكتفى عن كل واحد باسطر ، ان كان يذكر احدا منهم ، اما
البلاذري فيهتم بالعرب ، ومن عمل في السياسة والادارة والحرب
والحكم فيضفى على بحث كل منهم تفاصيل كبيرة ، وقلما يتحدث عن
رجال الدين وعلومه ، فابن سعد يعطيك انطباعا ان الناس لا يشغلهم
الا الدين وعلومه ، والبلاذري يصور لك الناس ولا تشغلهم الا
الادارة والحرب والسياسة ، وعليك ان تكون حاد الذهن متوقد

الذكاء واسع الفكر لتقدر من هذه المتباينات صورة روح العصر
والامور التي اهتموا بها وكونت مثلهم العليا ومقاييسهم للتقدير ،
لتعرف الدوافع المهمة التي كانت في ذلك العصر ؛ وهذا يؤدي بنا
الى تقرير حقيقة اخرى وهي انه قد يذكر مؤرخ معاصر اسباب
حادثة ونتائجها ، ولكننا لا نقره على تقدير اسبابه ونتائجها ونرى
غير ذلك •

ان اسباب الاحداث التاريخية ونتائجها كثيرة ومعقدة يصعب
حصرها ، بعضها ظاهر وبعضها خفي ، بعضها مذكور وبعضها لا بد
من تلمسه ، وهي من اروع واصعب ما في الدراسة التاريخية ،
والواقع ان تقريرها وتقديرها يتوقفان بالدرجة الاولى على دارس
التاريخ •

وهنا لا بد من الاشارة الى المحاولات الكثيرة التي قامت لكشف
الاسباب الرئيسة التي تسير البشر ، اى الى وضع ، او كما يقال ،
كشف القوانين التي تسير التاريخ ، وهي تستهدف بالدرجة الاولى
تقريب سبب واحد فريد او رئيس تسير الانسانية بموجبه ، كالعامل
الديني ، او الاجتماعي ، او الاخلاقي ، او العقلي ، او المادى ، او
الماركسي ومحاولة المدافعين عن كل فلسفة اثبات صحة نظرتهم بايراد
امثلة متعددة للتدليل على وجهتهم • ان هذه الدراسات والفلسفات
فيها ولا ريب جهد عقلي كبير ، وطرافة غير قليلة ، وقد اعانت على
لفت النظر الى جوانب من حياة الانسان وتاريخه كانت من قبل
مهملة او مغمورة • ولكنها تنقد جميعا من حيث تبسيطها دراسة
الانسان وضعفها في تقدير مدى تعقده في سلوكه وتصرفاته ، ودوافعه

الظاهرية والباطنية ، الشعورية واللاشعورية • والواقع ان التاريخ
معقد بتعدد الانسان ، وانه بالرغم من الجهود الجبارة التي بذلت حتى
اليوم في دراسة التاريخ ، فان طريق السير الكلي للانسانية لما يتحدد
بالضبط حتى الآن ، والدراسة الشاملة التي تضم كافة التفاصيل
الصحيحة وتقدر بدقة قيمة كل من الدوافع لا تزال بعيدة المنال •
كما ان الانسان وهو الجزئية التي تكون التاريخ ، والكائن الذي
باعماله يخلق التاريخ لما تكتمل دراسته بعده ، ولا يزال علم النفس ،
الذي يدعى اليوم بان غرضه دراسة الانسان بالطريق العلمية لا يزال
وليدا • وعلى كل فيجب ان نتذكر انه مهما قيل في اثر البيئة
والمحيط ، ومهما قيل في قيود الانسان الجسمية والعقلية والاجتماعية ،
فان من اهم ميزاته هو ماله من حرية ارادة واختيار وفي تباين سلوك
الافراد ، ولو الى حد ما ، بالرغم من تشابه ظروفهم والعوامل
المؤثرة فيهم •

ان نقدنا للمحاولات التي تريد تفسير التاريخ بعامل واحد
او عوامل قليلة ، والتي تريد استنباط قوانين تاريخية مبسطة لا يعنى
اتنا نطالب الا يكون لدارس التاريخ فلسفة ينظر منها الى الاشياء ، فعدم
نضج علم النفس ، ونقص فلسفة التاريخ ينبغى الا يثبط الانسان
ويولد فيه الياس والقنوط ، كلا بل لا بد لكل انسان من نظرية
او فلسفة ، ومن لا نظرية له يكون فاقدا اهم مظاهر الانسانية وطابعها
المميز ، ولكننا نقول انه ينبغى ان تكون نظرية الانسان واسعة ، واقفه
رحيبا ، وعقليته واسعة مرنة ، تلب الامور ، وتختار ما تراه صحيحا

لا ما تريده ان يكون صحيحا ، وهذه الرحابة والمرونة وحب الحق
ينبغي ان تكون المعيار في تفضيل دارسي التاريخ •

• و - ثم انه مهما كانت الحقائق المتوفرة للمؤرخ صحيحة ،
ومعلوماته مضبوطة ، وتقديره للروابط بين الاحداث صائبا ، فأن
تنظيمه لبحثه يتوقف قبل كل شيء على ذوقه الشخصى ومزاجه •

ز - واخيرا ان المؤرخ عند كتابته لبحثه يعتمد على اسلوبه
الخاص ، فيختار بنفسه الكلمات التى يشاء ، ويصوغها بالجمل التى
يريد ، ويفرغها بالاسلوب الذى يهوى ، فعرضه للموضوع فن
سرف ، يعتمد على مزاج المؤلف قبل كل شيء ، ولن يكون الكتاب
تاريخا ما لم يكتب بانشاء المؤلف واسلوبه ، فالكتاب المقتصر على
مجرد الحقائق كتواريخ السنين او اسماء الاشخاص ، او يكون مليئا
بالنصوص المقتطفة لا يعتبر كتاب تاريخ ، والالفاظ والصيغة فى كل
كتاب امر اساسى نفهم به الحقائق ، وهى كلها من عمل المؤلف :
تعكس فهمه ومستواه •

انا نعترف ان دراسة التاريخ لم تبلغ حد الكمال فى الدقة ،
وان طريقة بحث العلوم الرياضية والطبيعية ، وهى التى نسميها
الطريقة العلمية لا يمكن تطبيقها حرفيا فى دراسة التاريخ ، ولكن
هذا ينبغي الا يكون مبعثا للياس والقنوط ، ولا سببا لترك دراسة
التاريخ ، فان هذه الطريقة العلمية لا تزال تلقى مصاعب غير قليلة
فى دراسة معظم جوانب النشاط الانسانى الاخرى ، كما انها لم
توصلنا الى الآن ، وحتى فى العلوم الرياضية والطبيعية الى الحقيقة

الكاملة ، فأننا يجب ان لاتخدعنا اوليات العلم التي نعترف بصحتها ،
 اذ ان اوليات الحقائق في التاريخ معترف بصحتها ، فلا جدال في
 وجود الخليفة هارون الرشيد والامين والمأمون ، ولا جدال ان عمر
 ولى الخلافة بعد ابي بكر ، ولكن المصاعب تأتي من التعمق في فهم
 الدقائق : فاذا كنا نجعل التفاصيل ونختلف في فهمها او تحليلها ،
 ونضطر في كل فترة ان ننكر ما كنا نراه من قبل صحيحا ، فان العلم
 ليس باحسن حال ، فما كشفه لايزال اقل مما يجهره في كل ميدان ،
 ثم انه حتى ما كشفه بتطبيق الطريقة العلمية من حقائق ، لا يمكن
 اعتبارها حقائق نهائية مطلقة بدليل ظهور نظريات جديدة باستمرار
 في مختلف ميادين المعرفة ، تنقض النظريات السابقة وتعديلها ، فما
 كان اسلافنا يعتقدونه حقائق ، اصبحنا اليوم نعرف انه خطأ غير
 صحيح ، فلماذا نغيب على التاريخ ما نراه من مفاخر العلم وميزاته .
 ان كل هذه المشاكل ينبغي الاتينا عن دراسة التاريخ ، فهو
 دراسة الانسان على حقيقته ، يعرض الانسانية في حياتها وفي عملها
 وبشكلها الحقيقي ، فاذا كانت لنا مصاعب في دراسة حاضرنا من
 حيث معيشتنا فيه وانعمارنا به وتأثرنا باحواله ، مما يؤدي الى صعوبة
 فهم اوضاعه المتشابكة ، وحاضره المعقد ، ودوافعه ونتائجه غير
 الواضحة ، فان التاريخ للانسانية كالمختبر المبسط الذي تستطيع تحليل
 عناصره ، ووصف مظاهره يسر نسبي ، وهو السبيل الرئيس ، ان
 لم يكن الوحيد ، لمعرفة عادات الامة وتقاليدها ، والعناصر الموقومة
 لها والتي تعطى ميزاتها الخاصة بها والتي تؤثر في اوضاعها وامالها
 وآلامها .

وإذا كان عدم وصولنا الى الحقيقة المطلقة مبعث انتقاص التاريخ،
فانه ينبغي ان يكون مصدرا دافعا للبحث ، يعطى مجالا للفرد المطلع
ان يبحث فيه ، فيصلح من اخطاء كتابته ، ويقربه الى الكمال ، فاذا
كنا لما نصل الى الكمال بعد ، فان وجود النقص يعطى مجال العمل ،
وادراك هذا النقص ينبغي ان يكون دافعا للبحث والتقدم ، فمعيار
رقى الامة ، ومقياس حيويتها هو في مدى حماس ابنائها وسعيهم
للوصول الى الكمال .

التفسير الماركسي للتاريخ

الدكتور جعفر حسين خصبك

— ١ —

تقوم الماركسية على قواعد ثلاثة هي فلسفة تسمى بالمادية
الديالكتيكية وتفسير للتاريخ يسمى المادية التاريخية ومجموعة من
النظريات الاقتصادية تدور حول ما يسمى بقائض القيمة • وتفسير
الماركسية للتاريخ ما هو الا جانب من جوانب الفلسفة المادية
الديالكتيكية أو هو نفس هذه الفلسفة مطبقة في حدود التاريخ •
فالماركسية ترى ان العالم وحدة جوهرها المادة وأن الأفكار انعكاس
عن المادة وترى أن المادة حقيقة موجودة خارج أدراك الانسان
ومستقلة عنه وليست ناتجة عن ادراكه وشعوره وهي لا تفهم
العالم على أنه مركب من أشياء جاهزة تراكمت بصورة عرضية بل
ككل ترتبط فيه الأشياء والحوادث ارتباطا عضويا وترى أن المادة
ليست في حالة سكون وجمود بل في حركة تصاعدية مستمرة تمثل
تطورا ينتج عن تغيرات كمية خفية ضئيلة تتجمع فتتحول الى
تطورات نوعية محتمة تحدث بشكل قفزات وسبب ذلك ما في
تكوين الطبيعة من تناقضات تمثل في جوانبها الايجابية والسلبية
القديمة والجديدة ما هو زائل وما يولد وينمو والمهم في نظر
الفلسفة المادية الديالكتيكية ليس ما يبدو ثابتا وهو سائر نحو الفناء
بل ما يولد وينمو والمادة في عرف هذه الفلسفة تتطور تبعا لقوانين
الحركة الديالكتيكية اي التناقضية التطورية التي هي صفة من

صفاتها ولذلك فهي ليست في حاجة الى عقل كلي أو بتعبير آخر
الله •

وبما أن المادة هي جوهر الطبيعة والادراك والشعور ليسا
الا انعكاس عنها فإن حياة الانسان المادية هي الاساس وحياته العقلية
مشتقة منها والاحوال المادية هي التي تحدد طبيعة المجتمع ونظامه
السياسي والفكري والقوة المحركة للتاريخ مادية هي أسلوب انتاج
الحاجيات المادية وتوزيعها بما في ذلك قوى الانتاج وعلاقاته
والانتاج بطبيعته اجتماعي لانه يتم داخل المجتمع وقوى الانتاج
وعلاقاته ليست جامدة بل في تغير مستمر يؤدي حتما الى تغير النظام
الاجتماعي بأسره بما فيه من نظم سياسية واجتماعية وفكرية وتاريخ
المجتمع الانساني هو قبل كل شيء تاريخ تطور الانتاج بما فيه
من قوى وعلاقات انتاجية وقوى الانتاج الجديدة وعلاقاته المطابقة
لها لا تنشأ خارج المجتمع القديم بعد زواله بل في قلبه وقد مر
التاريخ الانساني بخمسة مراحل أساسية لعلاقات الانتاج هي
المناعة البدائية والرق والنظام الاقطاعي والنظام الرأسمالي والنظام
الاشتراكي •

هذه خلاصة التفسير الماركسي للتاريخ مستمدة مما كتبه أحد
تفاتها وهو ستالين وهي في رأينا تمثل ما يريد كارل ماركس
أحسن تمثيل •

أن تفسير الماركسية مثبت فيما وضعه ماركس وصديقه
انجلس من كتب ورسائل عديدة ولكنه يتمثل بشكله النظري
على أوضح ما يكون في المقدمة التي صدر بها كارل ماركس كتابه

(نقد الاقتصاد السياسي) ونجده مطبقا الى حد غير قليل في الفصول التاريخية من كتاب رأس المال ورسالة ماركس المعروفة باسم (دراع الطبقات في فرنسا) التي تتضمن تاريخ هذه البلاد بين ١٨٤٨ و ١٨٥٠ ودعنا هنا نقدم خلاصة لمقدمة كارل ماركس لكتابه (نقد الاقتصاد السياسي) لانها حجر الزاوية في تفسيره التاريخي :

« في الانتاج الاجتماعي الذي يزاوله الناس نراهم يقيمون علاقات محدودة لا غنى عنها ، وهي مستقلة عن ارادتهم وعلاقات الانتاج هنا تطابق مرحلة محدودة من تطور قواهم المادية فسي الانتاج والمجموع الكلي لهذه العلاقات يؤلف البناء الاقتصادي للمجتمع وهو الاساس الحقيقي الذي تقوم عليه النظم القانونية والسياسية تطابقها أشكال محدودة من الشعور الاجتماعي . فأسلوب الانتاج في الحياة المادية يعين الصفة العامة للعمليات الاجتماعية والسياسية والروحية في الحياة . ليس شعور الناس هو الذي يعين وجودهم بل أن وجودهم هو الذي يعين شعورهم ، وعند بلوغ مرحلة معينة من تطور قوى الانتاج المادية في المجتمع نراها تصطم مع علاقات الانتاج القائمة أو علاقات الملكية بالتعبير القانوني وبهذا تتحول هذه العلاقات الى أغلال تقيد تطور الانتاج وهنا تبدأ فترة انقلاب اجتماعي وتغيير الاساس الاقتصادي يتحول الصرح الاعلى الهائل بأسره وذلك بدرجات متفاوتة في السرعة . وفي بحث أمثال هذه التغييرات يجب دائما التمييز بين التغير المادي في أحوال الانتاج الاقتصادي التي يمكن تحديدها وتعيينها بالدقة التي يتميز بها العلم الطبيعي وبين الاشكال المذهبية سياسية أو دينية أو فلسفية وهي التي

يصبح الناس فيها على وعي وشعور بهذا الصراع ويتقاتلون من أجله
وكما أن رأينا عن شخص لا يركز على رأيه عن نفسه كذلك لا يستطيع
الحكم على فترة تحول كهذه بطريق ما تتميز به من وعي ، إذ
بالعكس يجب بالأحرى تفسير هذا الشعور عن طريق المتناقضات
التي في الحياة المادية ، وعن طريق الصراع القائم بين قوى الانتاج
الاجتماعية وعلاقات الانتاج . لا يزول أي نظام اجتماعي أبدا قبل
أن تنمو كافة القوى الانتاجية التي يكون لها فيه مجال النمو ، ولا
تظهر علاقات انتاج أعلى مرتبة من سابقتها قبل ان تتضح في طيات
المجتمع القديم الاحوال المادية اللازمة لوجود هذه العلاقات

أن التحول التاريخي من مرحلة الى أخرى ، كما ترى الماركسية
أمر حتمي تقتضيه القوانين التاريخية وتمثل كل مرحلة تاريخية
طبقة اجتماعية تملك وسائل الانتاج وتسيطر على السياسة وتجعل
الحكومة لجنة تمثل مصالحها تسيطر بواسطتها على الطبقات المستغلة
(بالفتح) وهي تخلق القيم والتنظيمات اللازمة التي تساعد على
السيطرة وتنازع هذه الطبقة طبقة اخرى تمثل التطور الجديد في القوى
والعلاقات الانتاجية الجديدة والتناقض بين الطبقتين أمر حتمي ينتهي
بانتصار الطبقة الجديدة وسيطرتها وعلى ذلك فتاريخ المجتمع ليس
الا تاريخ صراع ينتهي بانتصار الطبقة العاملة وقيام المجتمع اللاتبقي
في ظل الاشتراكية .

أن أهم ما يمكن توجيهه من النقد لهذه النظرية يلخص
فيما يأتي :-

أولاً : ان الماركسية تقوم على قاعدة من الفلسفة المادية ترى أن المادة أزلية والحركة الدايلكتيكية او التطورية التناقضية صفة من صفاتها . المادة كما نعلم اصطلاح يعتمد ادراك طبيعته على التقدم العلمي الانساني وتحليل المادة علميا في الوقت الحاضر انتهى الى كونها ذرات تتكون من شحنات كهربائية يطلق تفجيرها قوة عظيمة فهي اذن ليست الا شكل من أشكال القوة تبدو لحواس الانسان على غير طبيعتها . يضاف الى ذلك أن علم الفلك الحديث كشف لنا أن الكون من السعة بدرجة لا يستطيع العقل الانساني تصورها وكل هذا يحملنا على التساؤل على الأقل عن مدى صحة ما يدعيه ماركس عن أزلية المادة وحركتها التي يراها جزء منها وعدم حاجتها الى عقل كلي .

ثانياً : ان الماركسية تجعل قوى الانتاج أساسا للحركة التاريخية وأهم ما في قوى الانتاج وسائل الانتاج كالفأس الحجرية والمحراث الخشبي والطاحونة الهوائية والمضخة البخارية والآلة الكهربائية ولم تظهر هذه الأدوات الا نتيجة لتفكير الانسان وارادته وتصميمه ولذلك يقتضى الامر عكس المسألة واعتبار الفكر الانساني هو المحرك الاول للتاريخ لانه هو الذي يصنع أدوات الانتاج ويسير قواه . وعقل الانسان يمتاز بالذكاء والتبصر وهذا ما جعله قادرا على خلق حضارة بتغيير المحيط والسيطرة عليه .

ثالثاً : لو استعرضنا تاريخ المجتمع الانساني منذ أول ظهوره حتى الآن لوجدنا ان قوى الانتاج لم يطرأ عليها تغير كبير إلا منذ الثورة الصناعية التي تعود للمائتي سنة الاخيرة والا ما هو التغير في

قوى الانتاج الذى نقل الانسان من عهد الرق الى عهد الاقطاع وما هي قوى الانتاج الجديدة التى ظهرت خلال العهد الاقطاعي ونشأت حولها الرأسمالية؟ واذا لم يحدث تبدل خطير في قوى الانتاج الا في القرنين الاخيرين فكيف نفسر احداث التاريخ خلال ألوف السنين الماضية من قيام دول وسقوطها ونشوء مدينت وازوالها ولتساءل مثلا عن نوعية التحول في قوى الانتاج الذى أدى الى ظهور المسيحية او الاسلام أو سقوط الدولة الاموية او العباسية او الفاطمية أو غيرها من الاحداث الخطيرة .

رابعا : ان هذه النظرية تخضع الانسان لقوى عمياء هي قوى الانتاج فتلغى بذلك الدور الاساس الذى يلعبه الذكاء الانساني والارادة الانسانية او تنزل بهما نزولا كبيرا وتفعل مثل ذلك بالافكار الجديدة والرجال العظماء وهي تقوم على فرضية وجود قوانين تاريخية حتمية وجودها أمر مشكوك فيه على الأقل لان مثل هذه القوانين تتضمن الغاء لحرية ارادة الانسان التى هي ميزة أساسية من مزاياه وقد أشار فردريك أنجلز الى ذلك بعبارة تقتطف منها ما يأتي :-

(في تاريخ المجتمع . . . نجد جميع الذين يقومون بأدوارهم فيه كلهم ذوو وعي وشعور فهم أناس يعملون بعزم ويسعون الى تحقيق اهداف محدودة ، فليس من شيء يحدث الا اذا كان له هدف شعوري مقصود . ولكن هذا التمييز لا يمكن ان يغير الحقيقة وهي ان سير التاريخ تحكمه قوانين عامة داخلية .

هنا ايضا وبوجه عام نرى ان الصدفة تسود في ظاهريّة الاشياء وذلك برغم الاهداف التي يسعى اليها الافراد عن وعي وقصد فنادرا ما يحدث ما نريده أذ في أغلبية الحالات نجد ان الغايات المرغوب فيها تتعارض لواحدة مع الاخرى وهكذا نرى ان تضارب الارادات والافعال الفردية التي لا عد لها في ميدان التاريخ تجسم عنه حالة مشابهة .. الخ .

ويقول كارل ماركس في رسالة بعث بها الى ف . أنكوف في ٢٨ كانون الاول ١٨٤٦ :

« ... فالمجتمع مهما كان شكله ؟ أنه وليد الفعل المتبادل الذي يقوم به الناس . وهل لهم حرية اختيار هذا الشكل او ذاك من المجتمع لانفسهم ؟ لا ، بكل تأكيد .. اذا فرضت وجود حالة معينة من التطور في القوى الانتاجية لديك شكل معين من أشكال التجارة والاستهلاك ، يطابقه نظام اجتماعي ، وتنظيم للاسرة والطبقات ... الخ » .

ويقول انجلز في رسالة بعث بها الى هينز ستار كنبرج في ٢٥ كانون الاول ١٨٩٤ :

« ... يصنع الناس تاريخهم ولكنهم لا يفعلون ذلك طبقا لارادة جماعية او حسب خطة جماعية او حتى في مجتمع معلوم محدود . فجهودهم تتضارب ، ولنفس هذا السبب نجد ان أمثال هذه المجتمعات تتحكم فيها الضرورة التي تكملها الحوادث العارضة كما ان هذه الضرورة تبدو بشكل حادث عارض هذه الضرورة التي

ثبت فعلها ووجودها هي ضرورة اقتصادية أولا ، وهنا يقع عبء الدور على الذين يعرفون باسم العظماء اذ يتقدمون لمعالجة هذه الضرورة . ان ظهور شخص ما في وقت معين وفي بلد معلوم ، أمر عرضي أو هو صدفة محضة . ولكن اذا ابعدها نشأت الحاجة الى بديل يحل محله ، سيوجد هذا البديل سواء كان حسنا ام رديئا ، ولكنه سيوجد في الاجل الطويل . . . (الخ) .

خامسا : أن مفهومة الماركسية عن الطبقة مصنعة فالطبقة تظهر في كتابات كارل ماركس وكأنها كائن حي له عقله ووعيه و ارادته وأهدافه الواضحة التي يسعى هنا وهناك لتحقيقها وهي تعمل في التاريخ كوحدة وتنتج أفكارها ومعتقداتها كوحدة وتعمل تحت ضغط موقعها الاقتصادي ولا يبدو أثر الفرد الا كعضو في الطبقة لان أفكاره في أساسها تكونها الطبقة وقد تكلم كارل ماركس عن الفترة الذي يسود فيها النظام الرأسمالي عن طبقتين بوجوازية وعمالية وأشار الى الفئات الأخرى وكأنها خاضعة لهما تسير طبق هواهما . والحقيقة ان الطبقة أصبحت في العصر الحديث مصطلحا غامضا مصنعا الى حد كبير فأساس التقسيم الطبقي قد يكون المورد المالي أو نوع الحرفة أو الثقافة أو أسلوب الحياة او النسب العائلي أو أكثر من واحد من هذه المقاييس سوية فالزارع الغني قد يتفوق على الموظف الكبير من حيث المورد المالي ولكنه يتأخر عنه من حيث الثقافة وأسلوب الحياة والنفوذ والعامل الفني يفضل ان يعد بين أفراد الطبقة الوسطى وان كان في حرفته وأسلوب تفكيره وحياته من العمال وصغار الكسبة وأهل الحرف المستقلة يرفضون ان

يعدوا من العمال • لذلك اذا اخذنا ايا من هذه المقاييس وحسده
انتهينا الى نتائج متضاربة متعاكسة تدل على أن الطبقة ليست بالمفهومه
الواضحة المستقره •

سادسا : أن مفهومه الماركسية عن كفاح الطبقات قائمه سوداء
تجعل التاريخ كله حربا أهلية مستمرة وسفكا دائما للدماء
ولو كان التاريخ حرب طبقات لما بقي هناك تاريخ اي لقتل الانسان
أخاه الانسان وانقرضت المدنية منذ أول نشأتها ولكن التقدم المستمر
الذي أحرزه الانسان خلال آلاف السنين وتغلب الصفة القبليه أو
المدنية أو القومية أو الدولية على الحرب وندرة الحروب الطبقيه
دليل واضح على فساد هذه النظرية والحقيقة أن مفهومه الطبقيه
والصراع الطبقي تمثل جوهر الماركسية وميزتها الاولى التي تصبغها
باللون الاحمر وقد كتب ماركس وانجلز في البيان الشيوعي :
(ان تاريخ كل مجتمع الى يومنا هذا لم يكن سوى تاريخ نضال
بين الطبقات فالحر والعبد والنيل والعامي والسيد الاقطاعي والقسن
ورئيس الحرفة والصانع اي المضطهدون والمضطهدون كانوا في
تعارض دائم وكانت بينهم حرب مستمرة تارة ظاهرة وتارة مستترة
- حرب كانت تنتهي دائما اما بانقلاب ثوري يشمل المجتمع بأسره
وأما بانهيار الطبقتين المتناضلتين معا •)

أن مفهومه كارل ماركس عن الصراع الطبقي مصدر لاثارة
الاحقاد والكرهية بين أفراد الامه الواحدة وسبب في تقسيمها
الى فئات مصطنعة تحجز بينها اسلاك شائكة حيث يمتنع اي تعاون
بين افرادها وتحاول طائفة منها ان تمحو او تخضع الطوائف

الآخري لمصالحها ونفوذها وقد أثبتت الرأسمالية خلال المائة سنة
الآخيرة أنها تستطيع التوفيق بين من يسميهم ماركس مضطهدون
ومضطهدين بجمع العمال وأصحاب الأعمال سوية للمفاوضة فيما
يتعلق بشؤونهم المشتركة من جهة وبتحديد ساعات العمل وتحسين
ظروفه ووضع حد أدنى مقبول للاجور ومنح نقابات العمال الحق
في تمثيل العمال وأنشاء ضمان اجتماعي • يضاف الى ذلك أن
التجربة الماركسية الحديثة خلال أربع وأربعين سنة أثبتت عدم صحة
ما ذهب اليه ماركس في أقامة مجتمع لا طبقي في ظل الاشتراكية
لان النظام المذكور لم يستطع ان يلغى الأساس الحقيقي الذي تقوم
عليه الطبقات وهو التفاوت الطبيعي في قابليات الافراد وميولهم
ونشاطهم الذي ينتج تفاوتاً في الاجور وأسلوب الحياة والمركز
الاجتماعي فأولاد مدراء المزارع الجماعية ورؤساء المعامل وكبار
المهندسين والفنانين يعيشون في ظروف هي أفضل بكثير من أولاد
الفلاحين والعمال وصغار الموظفين للتباين الكبير بين أجور آباء
اولئك وهؤلاء مما سهل امام الاولين مجال دخول الجامعات
والتخصص بالمهن العالية المربحة والمراكز الكبيرة والحقيقة ان
الماركسية استطاعت ان تلغي طبقات من تسميهم مستغلين (بالكسر)
لتخلق مكانهم طبقة مستغلة جديدة تسيطر على كل شيء من اقتصاد
الى فكر الى سياسة الى دين ، طبقة مستغلة تتمتع بنفوذ ما شهد له
التاريخ مثيلاً •

أن كارل ماركس يشبه هيجل بنظرته العقلانية للتاريخ في أنه لا يخضع للمصدفة بل لمحرك واحد معين يسير به في خطوات رتيبة تنتهي بأهداف محدودة معينة وبينما يرى هيجل أن الفكر أو العقل المطلق هو المحرك يرى ماركس أنه قوى الانتاج وعلاقاته • يضاف الى ذلك أن ماركس يرى ان التاريخ وحدة متصلة فليس هناك تاريخ سياسي وآخر اجتماعي أو اقتصادي بل تاريخ انساني واحد لا يكون وحدة عضوية لكل جزء منها حياته وكيانه بل قوة واحدة تدور حول محور واحد هو الحياة الاقتصادية اما المظاهر الاخرى فأنها خاضعة لها •

وكارل ماركس لم يكن منطقيا في جميع افكاره ولم تكن نظرياته تسجّم مع بعضها في كل واحد اذا ما دققنا فيها جيدا ولم يكن هو ولا صديقه انجلز يهتمان بتوفر الانسجام اللازم في كتابتهما • ومثال ذلك أن نظريته الاساسية في أن المادة تتحرك حركة تطويرية مستمرة وأن جميع الاشياء والحوادث تحوي تناقضات داخلية تسبب هذه الحركة ، تصطدم مع رأيه في أن التطور التاريخي ينتهي حتما بالاشتراكية وقيام المجتمع اللاتبقي فكيف يقف التاريخ الانساني عند هذا الحد وما هو المحرك له بعد سيادة الاشتراكية وهل يمكن زوال التناقضات نهائيا في ظل النظام الاشتراكي وكيف نفسر الصراع الدموي الذي ينشب بين الحكام الاشتراكيين في الدولة الواحدة وثورات العمال والفلاحين عليهم •

أن إيمان كارل ماركس وأتباعه بحتمية انتصار الاشتراكية ليس من العلم في شيء بل هو عقيدة دينية تصاحبها نفس العواطف والاحاسيس والمراسيم التي يتميز به الدين والحقيقة ان كارل ماركس ما كان يسعى الى كشف حقيقة التاريخ في تفسيره المادي له بل يقصد الى وضع نظرية يستند اليها منهاج ثوروي يستهدف القضاء على الرأسمالية والطبقات البورجوازية وأحلال الاشتراكية وطبقه العمال محلها • بينما يشير تاريخ السنين الاخيرة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية الى ان طبقة العمال التي يتجه اليها جل تفكير كارل ماركس تسير نحو الذوبان نتيجة للتقدم التكنيكي والعلمي فالتصنيع يتجه الآن الى الاوتوماتيكية والتنظيم العلمي للعمل وهذا يؤدي الى انخفاض الحاجة الى العمال غير الماهرين والاكتفاء بمهندسين وخبراء فبين قليلي العدد يشرفون على المصانع الاوتوماتيكية بمساعدة بعض العمال كما أن تركيب المجتمع نفسه أخذ بالتغير لازدياد نسبة اصحاب الحرف العالية التي تحتاج الى ثقافة ، كالمعلمين والمهندسين والاطباء وانخفاض نسبة العمال والفلاحين فيه وقد تحقق ذلك في المجتمعات الغربية المتقدمة في ظل الرأسمالية •

تبدو العوامل الاقتصادية في الكثير من كتابات ماركس وانجلز وهي المسببات الوحيدة للاحداث التاريخية ومثال ذلك ماكتبه ماركس في كتاب رأس المال من فصول تاريخية شرح فيها ظهور الرأسمالية في أوروبا في أواخر القرون الوسطى وعزا قيام حركة الاصلاح الديني التي انتهت بالبروتستانية الى عوامل اقتصادية وفعل أنجلز مثل ذلك في كتابه (أصل العائلة والملكة الفردية والدولة) ففسر

ظهور هذه المؤسسات وتطورها بأسباب اقتصادية وذهب تلاميذ
ماركس وانجلز مع هذا الاتجاه الى غاية ففسروا كل شيء باسباب
اقتصادية وصلت بهم الى حد السخف وقد أحس انجلز في أيامه
الاخيرة بعد وفاة كارل ماركس بخطأ هذا الاتجاه فراجع عنه في
سلسلة من الرسائل كتبها بين ١٨٩٠ و ١٨٩٤ ومن ذلك انه كتب
في رسالة الى يوسف بلوخ في ايلول ١٨٩٠ :

« تنظر المادية في تفسير التاريخ الى الانتاج والانتاج المتجدد
على أنه العنصر الاول في تعيين مجرى التاريخ وأحداثه ولم يقل
كلانا - ماركس وأنا - شيئاً أكثر من هذا فإذا قام أحد بتحويل
دعوانا الى القول بأن العنصر الاقتصادي هو الوحيد الذي يعين سير
التاريخ ، فإنه بعمله هذا يجعل من نظرتنا عبارة عديمة المعنى ،
مجردة وسخيفة . ان المركز الاقتصادي هو الاساس ، ولكن
العناصر المتنوعة التي يتكون منها الصرح العلوي كالاتجاه السياسي
التي يتخذها نضال الطبقات . . . والديكتاتور التي تضعها الطبقة الفائزة . .
أي اشكال القانون ، وهي الصور الذهنية التي تعكسها هذه العوامل
في أدمة المحاربين كالتنظريات السياسية والدينية والفلسفية والافكار
الدينية . . . هذه كلها لها أثرها في مجرى نواحي الصراع التاريخي
بل وفي كثير من الحالات تكون لها الغلبة في تعيين شكله . هناك
علاقة متبادلة بين كافة هذه العناصر . وفي النهاية نجد الحركة
الاقتصادية تثبت أنها العنصر الضروري في وسط جمع لا نهاية له
من العوامل العرضية . . . الخ . . . وفي رسالة أخرى كتبت في كانون

الثاني ١٨٩٤ ، وسع انجلز العامل الاقتصادي في التاريخ فأدخل ضمنه الظروف الجغرافية ومخلفات النظام الاقتصادي وبقاياه فسي المراحل المتقدمة كما أدخل ضمنه العنصر أو الجنس :

«انا نعد الاحوال الاقتصادية الاساس الذي يعين تاريخ المجتمع والذي نفهمه من هذه الاحوال الاقتصادية انها الاساليب التي تمكن الناس في مجتمع معلوم من إنتاج وسائل عيشهم وتبادل المنتجات فيما بينهم (وذلك بالقدر الذي يوجد فيه تقسيم العمل) ولذلك فهذا يشمل العنصر الفني في الإنتاج • وحسب نظريتنا يعين هذا العنصر الفني أيضا طريقة التبادل ثم تقسيم المنتجات والى جانبه - بعد انحلال المجتمع القبلي - الانقسام الى طبقات ••• وتشمل الاحوال الاقتصادية كذلك الاساس الجغرافي الذي تعمل فيه كما تشمل مخلفات وبقايا التقدم الاقتصادي في المراحل المتقدمة ••• انا نعتبر الاحوال الاقتصادية العامل الذي يعين قبل كل شيء التطور التاريخي ، ولكن الجنس نفسه عامل اقتصادي ••• الخ » •

وأخيرا أننا اذا أخذنا التفسير الماركسي للتاريخ على أنه يعني ليس أكثر من أن الاحوال الاقتصادية عامل موجه أساسي لحياة الانسان وتاريخه فإنه لا علاقة لهذه النظرية بالاشتراكية والشيوعية فيمكن للانسان أن يكون فرديا يتمسك بالملكية الفردية ويكون ماركسيا في نفس الوقت لان الرأسمالية تؤكد على أولية العامل الاقتصادي أيضا ولسكننا اذا سرنا مع ما يسعى اليه كارل ماركس في تفسيره للتاريخ وهو نزع الملكية الفردية والقضاء على ما يسميه البورجوازية والرأسمالية انتهينا حتما الى الاشتراكية والشيوعية •

التفسير الاقتصادي للتاريخ

كتبه الدكتور ياسين عبدالكريم

انشأ سكان العراق القدماء من السومريين والاكديين والبابليين والآشوريين وغيرهم حضارة اصيلة شملت معرفة الزراعة والصناعة والتجارة ، وتنظيم المجتمع والدولة ، وعرفوا بعض انواع العلوم ، ودونوا اعمالهم على الطين والآجر والحجر ، كما انهم ساهموا في تكوين الحضارة العالمية في العصور القديمة ، ولهذا وجب الاهتمام بهم وبمعالمهم . وفي العصور الوسطى ظهر الرسول محمد (ص) ونشر الدين الاسلامي الحنيف ، ثم نشأت الدول الاسلامية واصبحت بغداد مركزا للسياسة والثقافة والحضارة في العهد العباسي . وقد اهتم مؤرخو العرب بتسجيل ما لاحت لهم اهميته في الناحية السياسية والثقافية والدينية والاقتصادية ، وخطا البعض منهم كالواقدي والطبري وابن خلدون خطوات هامة في جمع الروايات وتصنيفها ثم عرضها بشكل نالوا عليه تقدير واعجاب المؤرخين في عصرنا هذا ، فكم جدير بنا الاهتمام بهذا التراث ودراسته وانماه .

اختلف المؤرخون حول غاية التاريخ ، فادعى البعض منهم ان غايته الوصول الى الحقائق وعرضها بطريقة موضوعية تشبه الحياة الحقيقية قدر الامكان . فاذا كانت هذه هي غاية التاريخ فلا حاجة اذن للبحث عن تفسيره ، اذ ان عرض الحوادث لا يمكن ان يكون غاية بذاته ، حيث لا يمكن للتاريخ ان يكون غاية في نفسه ، فلا بد للباحث من اثارة اسئلة كثيرة حول تلك الحوادث مثلا لماذا ؟ وما

هي ؟ وتعبير آخر محاولة بيان اسباب حصول الحوادث ولماذا حدث التاريخ كما حصل واتخذ الشكل الذي تراهى لنا به ويكون الباحث حين ذاك قد انتقل من العرض الى التفسير .

اهتم المسلمون بتفسير القرآن وفسروا القرآن بالقرآن ، اى فسروا الآية بدلالة الآيات الاخرى والتجأوا عند الحاجة الى السنة واقوال الصحابة والتابعين . روى ابن عباس عن رسول الله (ص) « من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده في النار » لانه يكون قد تكلف مالا علم به ، وسلك غير ما أمر به ، او يكون كمن حكم بين الناس على جهل ، فاعتبر العلم اساسا للتفسير .

وفي العلوم الطبيعية تفسر الظواهر الطبيعية تفسيراً كيمياً محكماً واسطته المعادلات والقوانين الرياضية . وفي العلوم الاجتماعية يتأثر الباحث بميوله واهدافه ، فاذا ما فسر المؤرخ الحوادث التاريخية حسب نظرية او عقيدة معلومة سابقة يكون قد اتبع بذلك فلسفة تاريخية معينة وخرج عن الحياد العلمى وانحاز الى مبدء او جهة خاصة كان يعتقد بها .

اما اذا حاول بذل الجهد لفهم جذور الحوادث التاريخية وادراك تسلسلها قاصداً من ذلك التوصل الى اسبابها ونتائجها ومن ثم بيان قيمتها واهميتها ، وتعبير آخر اذا اراد ايجاد الرابطة او العلاقة بين البداية والنهاية ، وطبق ذلك على غيرها من الحوادث غير متأثر بمعتقده ، ثم وضع تعميمات ونظريات لفهم الماضى والحاضر والتنبؤ بالمستقبل ، يكون بذلك قد سلك مسلك الاجتهاد فى هذا

الشان وفسر التاريخ تفسيراً حياً •

ولا شك ان من يتصدى لهذا النوع من العمل يجب ان يكون غير مقيد بهواه ، وواسع الاطلاع بالمعرفة البشرية كاللغة والجغرافيا ، والسياسة والاقتصاد ... الخ • حتى يتمكن من فهم الماضي وتفسيره استناداً الى الحقائق التاريخية المتوفرة لديه ومستعينا بالآراء العلمية السائدة • ان البحث التاريخي المستمر قد يغير او يكمل بعض المعلومات التاريخية او يكشف معلومات جديدة لذلك يهتم البعض على الدوام بدراسته وتفسيره على ضوء احداث الحقائق والآراء العلمية المقبولة • ومن هنا تحدث الاختلافات في كتابة التاريخ وتفسيره بتأثير المذاهب الفلسفية والآراء الحزبية والنظريات العلمية والاختلافات الطائفية القائمة ، فتوسع بذلك شقة الخلاف بين افراد الجيل ويزيد من قلقهم ، كما بين ذلك شارلز فرنكل بتعبيره « ... عندما ننظر الى ازمة عصرنا الحاضر من الناحية العقلية نجدها ازمة اساسها تفسيرنا للتاريخ - بل اساسها ، على التخصيص ، الموقف الذي يجب ان نتخذه من تفسيرنا للبرالي الحر للتاريخ الحديث^(١) ، لذلك لا ستغرب للآراء المتشعبة حول تفسير التاريخ ، فمنهم من فسره تفسيراً دينياً ، او جغرافياً ، او مثالياً ، او تاريخياً ، او عقلياً ، او مادياً ، او اقتصادياً ... الخ •

فماركس قد اعتبر القوة المنتجة اساساً للمجتمع وجعل النظام الاجتماعي مشتقاً منها وزعم ان تغيير قوى الانتاج او بتعبير آخر حصول تقدم في آلات الانتاج يؤدي الى تقدم المجتمع وعلى هذا تكون التكنولوجيا القوة الدافعة للتاريخ •

اما في التفسير الاقتصادي للتاريخ فيعتبر الانسان كائنا اجتماعيا له حاجات بيولوجية و رغائب نفسية فهو يحتاج الى الطعام واللباس والمسكن والمجتمع ، لذلك يعمل بايحاء هذه الدوافع لتأمين حاجاته واشباع رغباته ، وقد عمل خلال الادوار التاريخية لسد هذه الحاجات التي اخذت تزداد بتقدم المدينة ووفرة الانتاج ونشوء الكماليات ووسائل الراحة والتسلية وغيرها . لذا اعتمد البشر في المرحلة الاولى من حياته على الطبيعة في سد حاجاته فجمع خيراتها ثم امتهن الصيد وتعلم رعى الحيوانات والزراعة والصناعة والتجارة تطمينا لرغائبه ، كما انه اوجد النظم السياسية التي تؤمن له التقدم في هذا الباب وبذلك نشأت المجتمعات وزادت الحاجة الى الانتاج .

ففي التفسير الاقتصادي للتاريخ تعتمد قوة الافراد الاقتصادية في داخل الدولة على القوانين والانظمة التي تصدرها الدولة والتي لها القوة الالزامية ، وعلى قابلياتهم للعمل والانتاج . وتعتمد القوة الاقتصادية للحكومات على مواردها الطبيعية ومدى استغلالها لها وقد أكد بعض الباحثين في هذا الموضوع ومنهم برتراند رسل ، على اهمية القوة العسكرية ، وعلى احترام الحكومات الاخرى للمعاهدات والقانون الدولي^(٢) . وفي الدول الصناعية تتركز القوة الاقتصادية في الشركات الممثلة في مدرائها ، حيث تتألف الشركة من مئات او آلاف من المساهمين العاديين الذين ليس لهم صوت عملي في ادارة الشركة وان كانوا يتمتعون بحق الانتخاب السنوي . وقد يتألف

(٢) برتراندرسل (عبدالكريم احمد وعلى ادهم) القوة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ص ٩٣

مجلس الشركة من الخبراء ويكون لمدير الشركة شأن مهم في توجيهها وفي ممارسة قوتها الاقتصادية ، وقد يكون المدير خيرا اقتصاديا ، او مساهما فيها ، او يكون سياسيا اختير للاستفادة من نفوذه وفي هذه الحالة تندمج القوة الاقتصادية مع السياسة ويتمتع المدير عند ذلك بقوة اكبر (٣) .

يؤمن التفسير الاقتصادي للتاريخ ان عوامل التاريخ معقدة ومتفاعلة ويعتبر العامل الاقتصادي احد العوامل المهمة في سير التاريخ الا ان اثره لا يخلق اعتباطا . لقد حصلت الثورة الصناعية في انكلترا بين ١٧٦٠ - ١٨٣٠ ومنها امتدت الى اوربا ، وسببت هذه الثورة زيادة في الانتاج ونشوء المعامل وظهور المشاكل الاجتماعية . وقد علل المؤرخون اسباب قيام هذه الثورة في انكلترا بعوامل مختلفة منها موقع انكلترا الجغرافي ومناخها الرطب المنعش ووجود الفحم والحديد معا ، وتوفر الاصواف وظهور المخترعات في صناعة المنسوجات الصوفية . ان ما بيناه مهم ومفيد لدرجة ما ولكن يا ترى لماذا لم تكن هذه العوامل الجغرافية وغيرها سببا لظهور الثورة مع وجودها سابقا . كانت انكلترا في بدء العصور الحديثة بلادا زراعية ، وادت الحروب الداخلية كحرب الوردتين وحركة الاصلاح الديني وثورة البيورتان الى تبلبل الحالة ، الا ان نجاح الثورة الجليلة واعلان لائحة الحقوق في سنة ١٦٨٩ وظهور نظام مجلس الوزراء ونمو حرية الفرد وتبلور حرية التملك دفعت الفرد الانكليزي النابسه للعمل والابداع العلمي والفني فتمكن من استغلال موارد بلاده

(٣) المصدر السابق ، ٩٧ - ٩٨ ص .

الطبيعية ، وتتفاعل هذه العوامل قامت الثورة الصناعية التي تعتبر اهم حدث اقتصادى في العصور الحديثة لا بل في التاريخ البشرى
اجمع •

يظهر اثر العامل الاقتصادى بوضوح في قيام الاستعمار الحديث وذلك للحصول على المواد الاولية كالصوف والقطن والاشناب والنفط واليورانيوم ، والاسواق واستثمار رؤوس الاموال فيها ، وتدلل الابحاث التاريخية بان كلا من التوازن الدولى والحصول على المناطق الاستراتيجية والتبشير قد لعب دورا مهما في نشر الاستعمار . ومن الاسئلة المعتادة في هذه الدراسة هل التجارة تتبع العلم ام العلم يتبع التجارة مما يشير على اختلاف الآراء في هذا الموضوع • يعتبر الماركسي الحرب العالمية الاولى حربا استعمارية ودليلا على انهيار الرأسمالية بينما يبحث المؤرخ الاقتصادى عن اثر العامل الاقتصادى ويوجد ان المصالح التجارية كانت تستوجب التعاون بين انكلترا والمانيا ، وبين المانيا وروسيا وان المحالفات الدولية والروح العسكرية والقومية العدائية وغيرها لعبت دورا اكثر أهمية من العامل الاقتصادى فبذا يدعن لمنطق الحوادث ، وكذلك لا يتردد في تقرير اثر القوة السياسية في الثورة الشيوعية في ١٩١٧ واستعمال سيطرة الدولة للتغلب على النظام الاقتصادى القائم آنذ •

وبالاستناد الى ما ذكرناه ولضيق الوقت نقول :-

١ - ان التفسير الماركسي تفسير ميكانيكى للتاريخ يؤكد على اهمية العنصر الآلى وبهذا الشأن يقول ماركس تخلق الطاحونة

اليدوية المجتمعات الاقطاعية وتخلق الطاحونة البخارية المجتمعات الرأسمالية ، بينما يؤكد التفسير الاقتصادي على نشوء المؤسسات والمجتمعات وعلى دراسة التاريخ الاجتماعي ويعتبر التاريخ الاقتصادي جزء من التاريخ العام الا انه يهتم بدراسة الانتاج وتاريخ الزراعة والصناعة والتجارة والبنوك والاستثمار والاستهلاك وغيرها من نشاط الانسان الذي له علاقة باكبر عدد ممكن من السكان .

٢ - يؤمن التفسير الماركسي بالجبرية الاقتصادية حيث يسير الانسان بموجها الى مصيره المحتوم وبذلك يشبه بالمسافر الذي يسافر بالقطار الى اتجاه معروف ومعلوم لاختلاص منه ، وقد فسّر ماركس ذلك المصير المحتوم بانهيار الرأسمالية وقيام الاشتراكية ودكتاتورية العمال ، وعلى هذا اعتبرت الماركسية الفرد آلة في المجتمع . بينما يعتبر التفسير الاقتصادي الفرد انسانا له قابلية للابداع والاختراع والتكيف ، ويعتبر التملك غريزة ومن ضروريات المحافظة على الحياة ، ويمكن من دراسة الماضي فهم الحاضر ووضع الخطط للمستقبل . .

٣ - يؤمن التفسير الماركسي بان العامل الواحد *The Monist View of History* لذلك فهو تفسير مثالي فلسفي ، لم يأت نتيجة لدراسة الاحداث التاريخية بل افترض سلفا لتبرير آراء سياسية لم تثبت صحتها علميا بل سميت اعتباطا بالتفسير العلمي ، بينما يؤمن التفسير الاقتصادي باهمية وأثر العامل الاقتصادي فيعطى له اهمية بقدر ما تسمح الحوادث المباشرة على ذلك ولا يلجأ

الى اساليب ملتوية وتعليلات غير واقعية في هذا الشأن بل يستند على الدراسة
والبحت التاريخي بضمنها الاحصاء ونظريات الاقتصاد ولا يتردد في
تغيير آرائه ان دلت الحوادث على ذلك وبذلك يكون بحته علميا
او يحاول على الاقل ان يكون علميا •



الدكتور صالح أحمد العلي

ولد في الموصل سنة ١٩١٨ واتم فيها الدراسة الابتدائية والمتوسطة ، ثم تابع دراسته في بغداد ، بدار المعلمين الابتدائية ، ثم في دار المعلمين العالية ١٩٣٧ - ١٩٤١ حيث نال شهادة الليسانس بدرجة الشرف ، وعين مدرسا في متوسطة البصرة ، وفي المتوسطة الغربية ببغداد ، ثم أرسل ببعثة علمية الى جامعة فؤاد الاول في القاهرة (١٩٤٣ - ١٩٤٥) فنال درجة الليسانس بامتياز ، واكمل دراسة الدكتوراه في جامعة اكسفورد (١٩٤٥ - ١٩٤٩) باشراف المستشرق الانكليزي المعروف السير هاملتون جب . ولما عاد الى بغداد عين في كلية الآداب والعلوم مدرسا ثم استاذا مساعدا ، ثم استادا ، حيث لا يزال في هذه المرتبة . وقد عين رئيسا لقسم التاريخ فيها مرتين ، وهو اليوم رئيس قسم التاريخ في تلك الكلية .

وفي خلال فترة تدريسية قضى سنة في جامعة هارفرد (١٩٥٦ - ١٩٥٧) متمتعا بزمالة ، وحضر مؤتمر المستشرقين الامريكين في برنستون (١٩٤٧) ومؤتمر المستشرقين في ميونيخ (١٩٥٧) ومؤتمر تاريخ آسيا في دلهي (١٩٦١) كما حضر حلقات لتدريس العلوم الاجتماعية في دمشق (١٩٥٥) وللخدمات الاجتماعية في دمشق (١٩٥٤) وفي بغداد (١٩٥٨) وفي دراسة العرب للادب العربي في بيروت (١٩٦٠) وكذلك العيد الالفى لابن سينا (بغداد ١٩٥٤) .

وقد نشر اطروحة في الدكتوراه عن « التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري » (١٩٥٤) و « محاضرات في تاريخ العرب » (١٩٥٥) .

انشر ابحاثا عن « خطط البصرة » (سومر ١٩٥٣) وعن
« احكام الرسول في الاراضي المفتوحة » و « استيطان العرب في
خراسان » (في مجلة كلية الآداب ب بغداد) و « ما ساهم به العرب
في المائة سنة الاخيرة في دراسة تاريخ الادب العربي » (طبع ضمن
كتاب « الادب العربي في آثار الدارسين ») .

ونشر كذلك عدة مقالات وبحوث في مجلة الكتاب المصرية ،
ومجلة المعلم الجديد العراقية .

ونشر باللغة الانكليزية بحثا عن « الملكيات في الحجاز أبان
القرن الاول الهجري » (مجلة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي
للشرق) ١٩٥٨ وعن « خطط المدينة في القرن الاول الهجري »
(مجلة الثقافة الاسلامية ١٩٦١) .

وكتب في الطبعة الجديدة من دائرة المعارف الاسلامية عدة
مقالات عن « عريف » « عوانة بن الحكم » « البطائح » « دير
الجماجم » « دير قره » .

وترجم الى العربية محاضرات الاستاذ رنسمان عن « المدينة
البيزنطية » و « الحروب الصليبية » وكذا « تركيا الفتاة » لرامساور .
وفصل عن التاريخ في « مرشد المتعلم » ، وكتاب « علم التاريخ عند
المسلمين » لروزنتال .

الدكتور عبدالعزيز الدوري

علم من اعلام التاريخ الاسلامي وصاحب مدرسة تميز به
بين الباحثين بالدقة والعمق وسعة الاطلاع • والدراسة الاقتصادية
في فهم التاريخ •

بعد ان حصل على الثانوية من بغداد سافر الى لندن فحصل
على البكالوريوس بشرف من جامعة لندن سنة ١٩٤٠ وبعدها حصل
على الدكتوراه عام ١٩٤٢ ولما عاد الى بغداد عين مدرسا للتاريخ
الاسلامي في دار المعلمين العالية وبقي حتى وصل الى درجة استاذ
وفي عام ١٩٤٩ اشتغل مديرا للترجمة والنشر في ديوان وزارة
المعارف وتم عميدا لكلية الآداب والعلوم من ١٩٤٩ - ١٩٥٨
ولا يزال استاذ للتاريخ الاسلامي فيها ورئيس قسم التاريخ الموحد
في جامعة بغداد •

ولم تقتصر جهود الدكتور العلمية على بلاده انما اشتغل استاذًا
زائرا في جامعة لندن سنة ١٩٥٥ - ١٩٥٦ واستاذًا زائرا في الجامعة
الاميركية في بيروت ١٩٥٩ - ١٩٦٠

وللدكتور الدوري مؤلفات عديدة منها :

- ١ - العصر العباسي الاول طبع في بغداد ١٩٤٣
- ٢ - دراسات في العصور العباسية المتأخرة - بغداد ١٩٤٥
- ٣ - مقدمة في تاريخ صدر الاسلام - بغداد ١٩٥٠
وقد اعيد طبعه في بيروت ١٩٦١
- ٤ - تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري بغداد ١٩٤٨

- ٥ - النظم الاسلامية ج ١ - بغداد
 ١٩٥٠
 ٦ - دراسات في علم التاريخ عند العرب - بيروت
 ١٩٦٠
 ٧ - الجذور التاريخية للقومية العربية - بيروت
 ١٩٦٠

وقد ساهم مساهمة فعالة في نشاط التاريخ العالمي فكتب عدة أبواب في دائرة المعارف الاسلامية في طبعتها الجديدة ، فكتب في (بغداد) و (الانبار) و (عامل) و (أمير) و (ديوان) وغيرها مما يجده الباحث متسما بالدقة والعمق وما يزال نشيطا دائما على العمل بصبر وجلد وصمت وقد اتم اخيرا (الجذور التاريخية للشعبوية) •

الدكتور جعفر حسين خصباك

من مواليد مدينة الحلة تخرج في دار المعلمين العاليسية (بغداد) في ١٩٤٦ ودرس مدة بضعة أشهر في ثانوية الحلة ثم سافر منها الى القاهرة حيث درس التاريخ في جامعة (فؤاد الاول) لبضعة اشهر التحق بعدها في جامعة كاليفورنيا في الولايات المتحدة فحصل هناك على الماجستير في التاريخ من جامعة كاليفورنيا في بركلي • ثم انتقل الى جامعة شيكاغو حيث نال فيها درجة الدكتوراه في ١٩٥٢ • وعين مدرسا في كلية الآداب والعلوم (بغداد) في ١٩٥٢ وهو الآن أستاذ مساعد للتاريخ في جامعة بغداد يدرس تاريخ القرون الوسطى الغربية والتاريخ الاوروبي الحديث وتاريخ الشرق الادنى الحديث •

مؤلفاته :

روسيا السوفيتية والشرق الاوسط (١٩١٧ - ١٩٣٩)
بالانكليزية - لم ينشر •

انكلترا والحركة القومية في مصر (١٩١٨ - ١٩٢٤)
بالانكليزية - لم ينشر •

بحوث عن العراق في عهد الايلخانيين المغول نشر منها :
الاحتلال المغولي للعراق ، الادارة الايلخانية في العراق ، احوال العراق الاقتصادية في عهد الايلخانيين المغول • وقد ترجم النصف الاول من كتاب (القومية بين الاسطورة والواقع) تأليف بويد • ك • شيفر • وسينشر قريبا •

ياسين عبدالكريم

من مواليد تلعفر ، درس في مدرسة تلعفر الاولى وفي ثانوية الموصل واحرز على شهادة ليسانس من مرتبة الشرف من دار المعلمين العالية في سنة ١٩٤١ واشتغل بالتدريس والتفتيش وفي ١٩٥١ التحق بجامعة منسونا في الولايات المتحدة واحرز على شهادة الماجستير والدكتوراه في ١٩٥٦ وعين مدرسا في كلية الآداب . ثم أصبح أستاذا مساعدا .

وقد كان موضوع اطروحته للدكتوراه علاقات الجمهورية التركية الخارجية بين سنة ١٩٣٩ - ١٩٤٢ .

ترجم الجزء الثالث من كتاب ر.ر. بلر « تاريخ العالم الحديث » وله ابحاث باللغة الانكليزية حول الاستعمار الانكليزي في برما ، والاستعمار الامريكاني في فلبين ، وابحث اخرى عن التاريخ الاوربي والاقتصادي .

ويجيد عدة لغات منها الانكليزية والتركية وله معرفة بالالمانية والكردية .

الكتاب

مجلة شهرية ثقافية

مجلة جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين تحت الاعداد والتحضير
يساهم فيها النخبة الطيبة من المثقفين والادباء والكتاب •
فيها بحوث مختارة وابواب جديدة

خير الشعر واعذبه

أروع القصص وأجملها

مختارات من التراث العربي والاسلامي

أدب انساني يهز القلوب والافئدة والمشاعر

انها مجلة المثقف التي لا يستغني عنها الناس •

منشورات جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين

يشرف على اخراجها وطبعها - الدكتور يوسف عز الدين

الكتاب الاول :

المذهب الاخلاقي في الكريمة الكريمة

الدكتور صالح هادي الشماخ

الكتاب الثاني :

الاقتصاد الزراعي ومشكلاته

الدكتور ضياء احمد

الدكتور عبدالصاحب علوان

الاستاذ عبدالمجيد حسيب القيسي

الاستاذ عبدالرزاق الهلالي

الكتاب الثالث :

مشكلات التعليم الثانوي

الدكتور نوري الحافظ

الاستاذ حسن الدجيلي

الدكتور مسارع الراوي

الكتاب الرابع :

(الجريمة)

الاستاذ شاكر محمو العاني

الاستاذ فريد فتيان

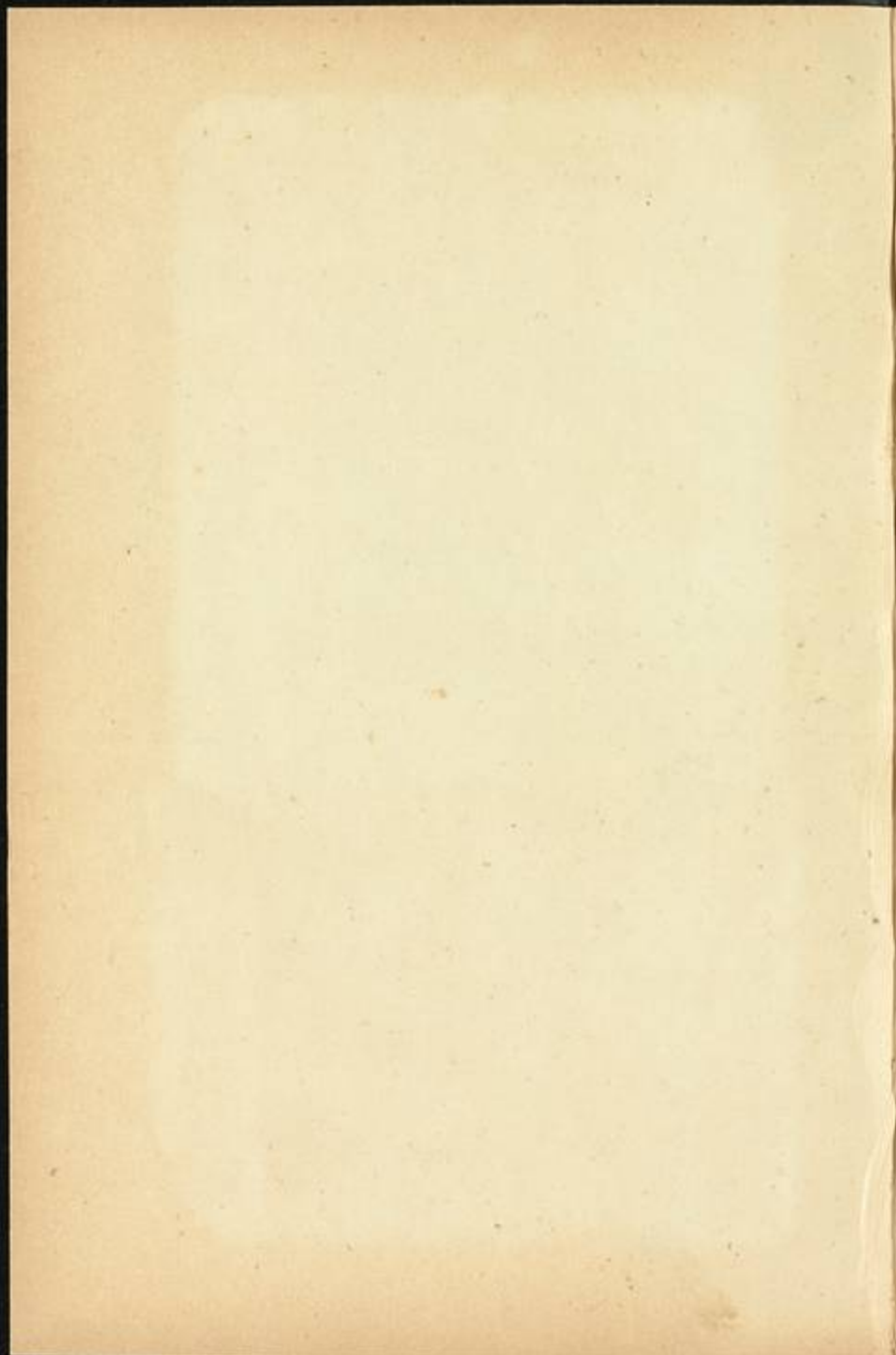
الاستاذ نور الدين الواعظ

الكتاب الخامس :

تفسير التاريخ

محتويات الكتاب

الدكتور عبدالعزيز الدوري	التاريخ والعصر الحاضر	٣
الدكتور صالح احمد العلي	تفسير التاريخ	١٧
الدكتور جعفر خصباك	التفسير الماركسي	٣٣



... رسالة الفكر الواسع الواعي ، يحملها كل مفكر وأديب يعرف مكانه في المجتمع العربي ويعرف دور أمته في ركب البشرية .

ومهمة الاديب والساكاتب والمفكر أن يعيش واقعه ، وأن يعي المرحلة التي تمر بها أمته ، وهو يعمل بعدئذ على الاخذ بيدها الى المستقبل الذي تنشده .

... وأن يحس بأهمية تبصير أمته بواقعها ويعمل على تحليل مشكلاتها وأمورها لتفهم نفسها فهماً واعياً . . . ويرسم لها طريق تطورها الذي يصل خطوط ماضيها بحاضرها ويشير الى مستقبلها . . .

والاديب والمفكر والساكاتب يدرك أن أولى مراحل النهضة فهم الذات . . والايان بشخصية الامة . . وأول مدارج التحرر أن تنزه ذاتك وكيانك الثقافي عن التبعية والتقليد ومن عرف نفسه استطاع أن يسير واعياً . . وأن يتجنب العصبية الضيقة والتبعية . ومن هنا كانت العناية بالتراث وبالاصول جزءاً حيوياً من رسالة المفكر . . . وطبيعي أن تتصف رسالة المفكر والاديب في أمتنا بالسعة في الافق وبهذا الاستقلال الفكري . . . ولذا فأنها تسعى لتعريف النشء بتيارات الفكر الحية وتضع أمامهم ماتستطيع من روائع الفكر والثقافة .

ومكان المفكر والاديب في طليعة الركب ودعوة بعضهم الى أن يواكب الادب والفكر ، التوثب الثوري انما هي انتقاص لدوره وتخلف لايرتضيه لنفسه ، فالادب ونتاج الفكر يخلقان الثورة ولن تكون ثورة حقيقة شاملة اذا لم تبدأ في العقول والنغوس .

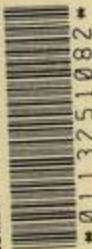
الدكتور عبد العزيز الدوري

طبع الغلاف في مطبعة العامل - بغداد

1888

1888

13251082
COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0113251082

BUTLER STACKS

D

16.8

.D87

MAR 11 1969

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU69431027

D16.8 .D87

Tafsir al-tarikh / 1